أكتوبر ٢٠٢٢

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام

مـــــرقس




# القديس يوحنا القصير

**«من قِبَل تواضعك وسيرتك الملائكية،**
**حملتَ كلَّ شيهيت على إصبعك مثل نقطة ماء».**

عيد نياحته ٢٠ بابه (٣٠ أكتوبر) — أيقونة حديثة محفوظة بدير أنبا مقار

ST. MARK

October 2022

*Monthly Review*




“Do not be afraid. From now on you will catch men”
(Lk 5:10).

Gospel Reading for the Second Sunday of the Month of Babeh
(which will occur on October 23, 2022).

# مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٦ أكتوبر ٢٠٢٢م.

العدد ٦٣٦ توت / بابة ١٧٣٩ش.


## المحتويات


**الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:**

رائحة الحب..... ١

**مقال للأب متى المسكين**

لأنك تقول: إني أنا غني وقد استغنيت ..... ٥

**للقديس الأب بيشوي كامل :**

السفينة في وسط البحر.....١٢

**من النصوص الآبائية:**

رداء المجد (للقديس مار أفرآم السرياني) .....١٨

**من الخبرات الروحية:**

مفترق الطُّرق الرهيب .....٢٥

**في معاملات الله مع الإنسان:**

معاملات الله الحبية التأديبية معنا .....٢٩

**من التراث الكنسي:** الأب نيقولاس أفاناسييف

الإفخارستيا أساسية لتكوين الجسد .....٣٣

**ادخل إلى العمق (٢٦):** الخميرة الصغيرة.....٣٧

**تقديم كتاب (٨):** التأله والوحدة ..... ٤٠

**بالإنجليزية:**

حاجتنا إلى المسيح .....٤٤


من تعليم آباء الكنيسة

للقديس كيرلس الكبير

## الجسد المُحْيي

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[حيث أن جسد المخلِّص قد صار مُحييًا
بسبب اتحاده بمن هو الحياة بطبعه،
أعني بكلمة الله،
فنحن حينما نتناول من هذا الجسد
تصير لنا الحياة في أنفسنا،
لأننا نصير بذلك نحن أيضًا متحدين بهذا الجسد
بمثل ما يكون هو نفسه متحدًا باللوغوس الحال فيه.
من أجل ذلك أيضًا لمَّا كان المخلِّص يُقيم الأموات،
لا نجده يُجري ذلك بمجرَّد كلمة أو أمر إلهي،
ولكنه كان يقصد أن يجعل جسده المقدس
يشترك معه في إقامة الأموات،
حتى يُظهره أنه صار جسدًا قادرًا على الإحياء...
ولهذا السبب لمَّا أقام ابنة رئيس المجمع قائلاً:
"يا صبية قومي" أمسك أيضًا بيدها كالمكتوب...
فإن كان بمجرَّد لمس جسده المقدس يُحيي ما قد فسد،
فكيف لا ننتفع نحن بغنىً أكثر جدًّا
من سرِّ البركة المحيية (التناول)،
حينما (لا نلمسه فقط) بل ونأكله أيضًا؟!].

**شرح يو ٦: ٥٣**


**مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت**

مكتب التوزيع والاشتراكات
**القاهرة:** ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
**الإسكندرية:** ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
**تصفح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:**
**www.stmacariusmonastery.org**
**عنوان البريد الإلكتروني:**
**stmarkcare@gmail.com**

**رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري**
**تسديد الاشتراكات:** بحوالة بريدية باسم:
**مجلة مرقس** على مكتب بريد شبرا
**على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة**
**أو على حساب شيكات بريدية رقم:**
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
**ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد**
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

**ثمن النسخة عشرة جنيهات**
**الاشتراك السنوي: حدُّه الأدنى:**
**١٠٠ جنيهًا:** داخل مصر (السلبم باليد)
**١٢٠ جنيهًا:** داخل مصر (بالبريد)
**٤٠٠ جنيهًا:** في البلاد العربية
**١٠٠ دولاراً أمريكيًا:** في البلاد الأخرى
يُسدد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
**عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة**
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٢
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

# رائحة الحب

## لصاحب القداسة

## البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

أتدري يا صديقي ... أنه متى كانت لك حياة روحية حقيقية وقلب ممتلئ بالنعمة لا بد أن ينعكس ذلك على حياتك العملية فتظهر رائحة المسيح في كل تصرفاتك؟ هذا هو ما نود الحديث عنه في موضوعنا هذا في طريقك الروحي وهو ما يعكس نجاحك في الخطوات السابقة.

+ «وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةُ للهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ. وَمَنْ هُوَ كُفْوءٌ لِهذِهِ الأُمُورِ؟ لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ، لكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ، بَلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ» (٢كو ٢: ١٤ – ١٧).

**تظهر فينا رائحة المسيح من خلال خمس فضائل:**

كيف تظهر فينا رائحة المسيح؟

- المحبة
- ينبوع التعزيات
- السلام
- الحكمة
- اليقظة

**أولًا: المحبة**

الإنسان المسيحي لا يعرف إلَّا المحبة، والعالم اليوم في أشد الحاجة إلى المحبة النقية الحقيقية، تلك المحبة التي يقدِّمها الإنسان المسيحي الحقيقي في معاملاته مع الجميع.

لذا على الإنسان المسيحي أن يراجع نفسه دائمًا ويسأل نفسه: هل يوجد في قلبه فكر كراهية من جهة أي أحد؟ وما هو مقياس المحبة تجاه كل مَنْ هم حوله؟ والقديس أغسطينوس له هذا القول الجميل: "أحبَّ الكل فيكون لك الكل ومَنْ يعرف الحب يفهم الحياة".

**ثانيًا: السلام**

وتُسمَّى صناعة السلام بالصناعة الصعبة ... بل إنها أصعب صناعة يحتاجها العالم اليوم، فالعالم أضحى ممتلئًا بالتوتر في كل مكان وبالأخص في منطقة الشرق الأوسط «وَثَمَرُ الْبِرِّ يُزْرَعُ فِي السَّلَامِ مِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ السَّلَامَ» (يع ٣: ١٨).

فهناك شخص بمجرَّد وجوده يكون سببًا في تهيُّج المشكلات بسبب كلامه غير الحكيم، ولكن نجد شخصًا آخر كلامه يريح الجميع بحكمته وتصرفاته التي تزرع السلام.

تعلَّم يا صديقي فن حل المشكلات بهدوء بل اجعل نفسَكَ دائمًا من صنَّاع السلام كما يقول الكتاب: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ» (مت ٥: ٩).

**ثالثًا: اليقظة**

بمعنى التوبة في كل يوم فالإنسان المسيحي إنسان يقظ ومنتبه ومستعد ... واليقظة أيضًا تعني **السهر** والاستعداد فمتى تسلَّل الكسل إلى حياتك الروحية عليك أن تتدارك نفسك سريعًا واعلم أن هذا الكسل هو حرب من الشيطان يجب الانتباه لها حتى لا تُفسِد الخطية حياتك بسبب هذا الكسل.

البُعد الداخلي لليقظة القلبية هو وجود **مخافة الله** في كيان الإنسان لأن في الأزمنة الحاضرة ومع انتشار التكنولوجيا بكل صورها المتسارعة وتعاظم القدرات الإنسانية وتعاظم الإنسان أمام نفسه ... توارت مخافة الله في حياة الإنسان وصار يستبيح كلَّ شيء وصار كلُّ شيء رخيصًا وبلا قيمة حتى المقدَّسات وكأن التكنولوجيا واستخدامها يولِّد ويستنسخ "يهوذا" جديدًا كل صباح.

**رابعًا: الحكمة**

+ «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ» (يع ١: ٥).

فالفضيلة لا تكون فضيلةً إلَّا بالحكمة، والحكمة تتجسَّد في حياة الإنسان بشكلٍ عملي ... في حُسن التصرُّف أو في عرض موضوعٍ ما. أو في حل مشكلةٍ ... إلخ.

ويُحكَى في التاريخ أن ملكًا في أحد العصور أقام حفلة كبيرة ودعا إليها جميع كبار رجال الدولة وكان من ضمن المدعوين البابا البطريرك، وفي نهاية الحفل كان كل فرد من رجال الدولة يقوم بتقبيل يد الملك اليمنى فيضع الملك فيه كيسًا من الذهب على سبيل الهدية.

فجاء دور البابا البطريرك فقبل صدر الملك فتعجب الملك وقال له: لماذا صنعت ذلك؟ فقال البابا لأنه يوجد لدينا آية في الإنجيل تقول: «قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ» (أم ٢١: ١). وأنا قبَّلت يد الرب التي تحرس قلبك يا جلالة الملك. فارتاح الملك لهذا الكلام وأعطى البابا كيسين من الذهب، وهذه هي الحكمة. فقد كرز بالإنجيل وقدَّم محبة وتصرَّف بدبلوماسية.

الإنسان المسيحي الحقيقي عادةً ما يكون إنسانًا حكيمًا. لأنه يتعلَّم الحكمة من حياة ربنا يسوع المسيح. فعندما سألوا السيد المسيح عن الجزية وهل يجب دفعها أم لا؟! طلب أن يرى عُملة ونظر إلى وجهيها ثم قال في حكمة: «لِمَنْ هذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ قَالُوا لَهُ: "لِقَيْصَرَ". فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ» (مت ٢٢: ٢٠، ٢١).

وأيضًا في قصة المرأة السامرية (يو ٤) تعامل السيد المسيح معها بمنتهى الحكمة وبدأ هو في الحديث معها وكان يشجِّعها في حديثها ببعض الكلمات المشجِّعة. مثل «حَسَنًا قُلْتِ» وبذلك قادها إلى التوبة والإيمان.

وفي مقابلة زكا تقابل السيد المسيح معه بمنتهى اللطف حتى أن زكا تغيَّر قلبه وتاب. وقال: «هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ» (لو ١٩: ٨).

وفي قصة الابن الضال (لو ١٥) كان من الممكن أن أباه لا يقبل عودته ويطرده. ولكنه تعامل مع ابنه بحكمةٍ وأخذه في حضنه وقبله.

وهكذا يا عزيزي القارئ الإنسان المسيحي يظهر رائحة المسيح في حكمته في مواجهة المواقف المختلفة.

**خامسًا: ينبوع التعزيات**

الإنسان المسيحي هو ينبوع التعزيات فحضور المسيح حضور مُفرح، فعندما يأتي الإنسان المسيحي يأتي معه الفرح والبشاشة.

وهكذا حضور الإنسان المسيحي يعكس حضور الله بالفرح الذي يملأ قلبه.

وبذلك تكتمل هذه المنظومة الخماسية بالفرح الذي يجلبه الإنسان المسيحي في الوسط الذي يعيش فيه سواء بكلامه أو صمته، سواء بمواقفه أو تصرفاته.

وهذا يفسر لنا تكرار عبارة: "هللويا" في صلواتنا وتسابيحنا وألحاننا حيث التهليل لله لكي تنطبع النفس الداخلية بأصول الفرح والبهجة والتعزية وتتحوَّل إلى حياة الرضا والقناعة والشكر.

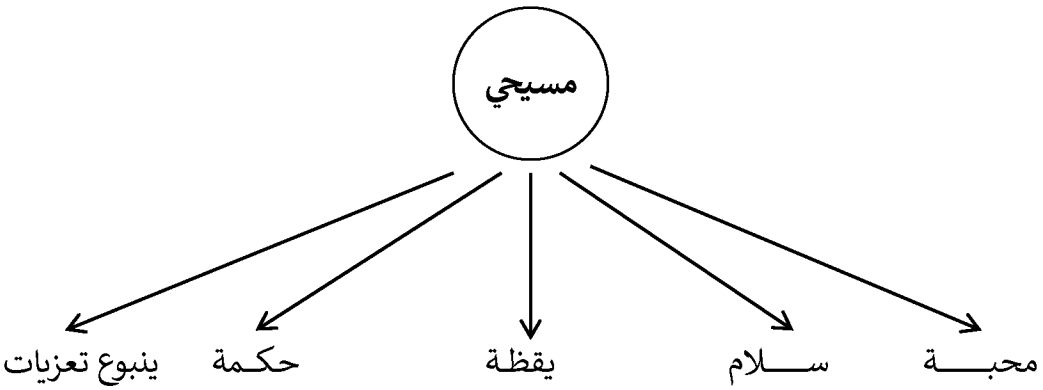


هذه الفضائل الخمس: المحبة، السلام، اليقظة، الحكمة، وينبوع التعزيات هي مظاهر حضور الله في حياتنا، وإذا أخذنا الحرف الأول في هذه الكلمات الخمس ستظهر كلمة **"مسيحي".**

**البابا تواضروس الثاني**

مقال للأب متى المسكين

# «لأَنَّكَ تَقُولُ:
# إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ،
# وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ»[1]
# (رؤ ٣: ١٧)

⊙⊙⊙

«وَاكْتُبْ إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَةِ اللاَّوُدِكِيِّينَ: هذَا يَقُولُهُ الأَمِينُ، الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ، بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ: أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّكَ لَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا. لَيْتَكَ كُنْتَ بَارِدًا أَوْ حَارًّا! هكَذَا لأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي. لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلاَ يَظْهَرُ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ. إِنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ. هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي. مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ». (رؤ ٣: ١٤-٢٢).

في الحقيقة، يا أحبائي، إن هذه الرسائل بحسب اعتقادي الموجَّهة إلى السبع كنائس هي في الواقع موجَّهة إلى السبعة عصور التي تمر بها الكنيسة. الذي يقرأ ويدرس التاريخ جيدًا سوف يتأكد أن الكنيسة الحالية هي كنيسة آخر الزمان. تلك الكنيسة التي قال عنها الكتاب: «لِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ» (مت ٢٤: ١٢). أليس هذا ما نراه حاليًا في كنيستنا من ضعف المحبة وزيادة الإثم؟

إننا بمجرد نظرة بسيطة لكنيسة العصور الأولى سوف نتأكَّد تمامًا أننا في حياتنا وسلوكنا لسنا على مستوى الحب الذي كان لآبائنا الأوائل، والذي كانوا يحيونه أيامهم. سوف نكتشف أننا ناقصون جدًّا، ليس لنا محبة ولا حرارة ولا قوة الروح القدس الذي كان فيهم.

---

(١) عظة لم يسبق نشرها للأب متى المسكين، ألقاها على الرهبان يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥.

طبعًا تعلمون أن كنيسة الرسل الأولى كانت من أصل يهودي، والذين آمنوا بالمسيح كانوا يهودًا. وأنتم تعلمون الطبع اليهودي المُحِب جدًّا للمال، والذي لا يُفرِّط أبدًا في ميراث آبائه. تصوَّروا هذا اليهودي الذي آمن بالمسيح يبيع كل ما ورثه من أراضٍ عبر آبائه وأجداده من جيل إلى جيل ومن سبط إلى سبط، ثم يضعه تحت أقدام الرسل. هل هذا معقول؟ هل يُعقَل أن الشخص المستحيل عليه مجرد أن يُحرِّك التخوم من مكانها، يقوم ببيع ميراثه ويطرحه في الأرض عند أُناسٍ غرباء عنه؟ هل تتخيلون منظر شخص يهودي كان له الكثير من الغِنَى، ثم فجأة يصبح فقيرًا، ويذهب ويستعطي ليأخذ من الرسل ما يحتاجه!! ما الذي حدث؟ لقد صار المسيح هو المصدر الوحيد لحياته وغناه.

ولم يكن الذي باع وتخلَّى وألقى تحت أقدام الرسل هو شخص يهودي واحد فقط، بل كثيرون فعلوا مثله، صاروا جميعًا فقراء، وهنا نشأت بينهم روابط حب جمعتهم ووحَّدتهم. شعورهم بوحدة الهدف ولَّد أُلفة ومحبة بعضهم لبعض. صار لهم فكر واحد واعتماد واحد على مصدر قوة واحد، فكانوا بالحق كنيسة الحب الحقيقي.

هنا نأتي إلى التطبيق على حياتنا. والتطبيق ليس صعبًا. كلنا دعانا الرب، كلنا سمعنا صوته يناديا، هو التقانا في مكانٍ مختلف كل واحد عن الآخر، دعانا إليه، قال لكل واحد فينا: تعال إلي، أنا محتاج لك، عندي لك مشروع عظيم جدًّا!! وأنت تسأله: ما هو يا سيدي؟ فيُجيبك: أن تعيش معي في سلام وحب مدى الأيام، ولكن سأضع نيري عليك، ستشترك معي في آلامي، ولكني أعدك أن تبقى شريكًا في أمجادي، وفي هذا الدهر سترى بعينيك ما لا يُرى، وتأخذ عربون الحياة الأبدية التي سمِعتَ عنها في الإنجيل. وهنا تسأله أنت: هل ممكن يا سيدي أن تُعطيني شيئًا ألمسه وأحسه من الآن! والرب يستجيب لك بطريقةٍ عجيبة. فعندما يعود الشخص إلى مخدعه ويقف يرفع يديه ليُصلّي، يجد أن قلبه التهب، وحرارة روحية تملأه، ويحس أنه يكاد يلمس الرب فعلًا، فيشعر أن الكلام الذي قاله له الرب جد حقيقي. وهنا يقول للرب: هل صحيح إني سأتبعك وأبيع العالم وكل ما فيه وأذهب وراءك؟ وفعلًا تتحقق الدعوة، ويصبح يسوع من هذه اللحظة الفارقة هو كل شيء في حياته.

ولكن من الضروري جدًا المحافظة على طاقة الإيمان الجبارة التي دفعت الشخص لكي يسير في طريق الرب، عليه أن يتذكَّرها ويضعها نُصب عينيه دائمًا. فيسوع الذي

وجدناه في تلك اللحظة الفارقة من حياتنا هو هو نفسه الذي سيُصاحبنا ويُكمّل بنا بقية طريق حياتنا.

رسالة الرب لنا الليلة: لماذا نحن لسنا حارين بالروح؟ وبالطبع نحن لسنا باردين، ولكن، كما يقول الشاهد الأمين الصادق: «لأنك فاتر». الوضع صعب وخطير جدًا. فإذا كان الشخص باردًا يستطيع المسيح أن يؤدِّبه، وإذا كان حارًا فإنه يُقبِّله ويحتضنه، أما أن يكون فاترًا فالنتيجة أن يتقيَّأه ...!!

ولكن ما السبب في هذا الفتور المُخزي الذي نحن فيه؟ الإجابة هي في كلمة واحدة قالها المسيح للكنيسة الأخيرة، كنيسة هذا الزمان الأخير: «لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ». إنه الشعور بالاكتفاء وعدم الاحتياج، فما أن تعطي تعليمًا أو إرشادًا لأحد وخصوصًا من المحسوبين على الكنيسة أو رجال الدين إلا ويقول لك: [أنا أعلمه، هذا ليس بجديدٍ عليَّ، أنا لستُ أقل مِمَن قاله، هذا الكلام لا يخصُّني، إنه موُّجهٌ للآخر الذي بجانبي...]. هذا الشخص صعب عليه جدًا أن يتقدم أو ينمو، فهو لا يشعر أن الكلام ممكن أن يكون له هو شخصيًا.

للأسف نحن كلنا نحس أننا أغنياء. نحن نقيس أنفسنا على أنفسنا أو على الآخرين، ونعمل بيننا وبينهم مقارنة، ثم نخرج بنتيجة أننا الأفضل. الذي يفعل هذا يضلُّ كثيرًا. قياسنا الوحيد هو الرب يسوع الذي يجب أن نقيس أنفسنا عليه.

إذا داخَلك إحساس الغِنَى فتكون النتيجة أن الفتور يصيبك، وتبدأ عورتك تظهر، وحياتك تضعف، وعيناك تنعمي، وتصير في حالة رديّة جدًّا.

ليت الرب يفتح قلوبنا اليوم، ونشعر بأننا نحن أنفسنا المقصودون بهذا الكلام، وليس غيرنا، ثم نستسلم لتأنيب وتوجيه الروح القدس في حياتنا.

ولكن ما هو غنانا؟ إنه شيء واحد وحيد: أن يكون لنا فكر المسيح، يكون لنا علاقة وعِشرة قوية بالله. هذا هو غنانا الحقيقي. هذه العلاقة بيننا وبينه هي كالذهب الذي ربما يشوبه بعض الزغل أو الشوائب. ولكن إن كانت علاقتنا بالله حارة وقوية وصحيحة، فهي تستطيع أن تأكل زغل المعاملات والعلاقات البشرية الهشة وتُبقي على الذهب وحده. وهنا أيضًا تنصلح العلاقات بين الإنسان وأخيه: «إِذَا أَرْضَتِ الرَّبَّ طُرُقُ إِنْسَانٍ، جَعَلَ

أَعْدَاءَهُ أَيْضًا يُسَالِمُونَهُ» (أم ١٦: ٧). فإن ارتفعت حرارتك الروحية واشتعل قلبك بحب الله، ومشيت وسط إخوتك، لأشعلتهم أنت نارًا من حبك، وصاروا لك عبيد حبٍّ.

إذا كنَّا نعاني من مشاكل من جهة علاقات بشرية مضطربة بيننا وبين إخوتنا، هذا بسبب أن حياتنا الداخلية فاترة ضعيفة، نشعر أننا أغنياء. الداخل، يا إخوتي، هو مشكلتنا الأولى، فإذا انصلح، يصير الخارج ملكوتًا. لو استطعنا أن نُصْلِح علاقتنا الداخلية التي تربطنا بالرب يسوع، لو شعرنا بضعفنا وفتورنا، وأننا لسنا أغنياء بل فقراء، ستكون النتيجة أننا سنلتقي بالناس، ونلاحظ تغييرًا كبيرًا، ولكن التغيير ليس في الآخرين لكن فينا نحن. ستجد الناس تتسابق في تكوين علاقة معك، تتسابق في محبتك.

تعالوا، يا إخوتي، يا من تقولون إنكم أغنياء، تعالوا نتقيَّأ أنفسنا قبل أن يتقيَّأنا المسيح. نتقيأ طباعنا الردية التي أخذت صورة التقوى والعلم، وصارت مُعجبة بذاتها، وصارت تشعر أنها أفضل من غيرها، وتظن أنها تستطيع أن تُخلِّص كثيرين، وهي البائسة والشقية والعريانة، وعن النور معمية. تعالوا نلفُظ أنفسنا حتى يقبلنا المسيح. تعالوا، تعالوا الليلة نتعاهد سرًا بلا حديث وبلا كلام. نقف أمام المصلوب ونقول له: أنت تعرَّيتَ لكي لا نعيش نحن فيما بعد عُراة، أنت تعريت يا ربي، لكي تنزع عنا كل ثوبٍ كاذب.

مهما أعطاك الله من عطايا أو مواهب أو مناصب، فإياك أن تتكبر أو تحس في نفسك أنك شيء. لا تصدق وقتها أنك قديس أو أنك اغتنيتَ أو أنك أفضل من غيرك. العلامة الصِحية الوحيدة التي تُصدِّقها والتي تُثبت أنك تسير في الطريق الصحيح، هي عندما تتعرض لإهانة أو ظلم، وعندها لا تثور أو تغضب، بل تقول: [هل أنا أستحق يا ربي أن تُشركني في صليبك؟ أشكرك لأنك تحبني وتؤدِّبني]. فهو يفهم أن الأبناء المحبوبين هم فقط الذين يهتم بهم أبوهم ويؤدِّبهم.

الشخص الذي يحس بفقره لا يبحث إلا عن النصيب الأصغر والمُتَّكأ الأخير، وعندما تمدحه أو تُكرِّمه على أمرٍ أتاه، يخجل جدًا، ويتذكَّر خطاياه ويهرب. يقول في نفسه: [مَن أنا؟ هل أنا صرتُ مثل أنطونيوس؟ أو يقول لمِن يمدحونه: لعلكم تقصدون شخصًا آخر!]. لعلكم تتذكرون قصة أنبا مقار وكيف هرب عندما أرادوا أن يعتذروا له عن إهانتهم وظلمهم له.

اليوم الذي تتعرف فيه على الرب معرفة صادقة، لا يمكن أبدًا أنك تحس في أعماقك أنك أفضل وأكثر معرفة من غيرك؛ بل بالعكس تحس أنك أعجز وأقل الكل.

إذا ازددتَ قُربًا للمسيح ازددت فقرًا، فقرًا حقيقيًا، وليس كاذبًا. سوف لا تقبل إطلاقًا أن تتزيَّن بزيِّ العابرين في العالم، أو بثوب يتباهى بلبسه أولاد العالم، أقصد ثوب الكرامة والمجد، ثوب العلم والشهادات، سوف تدوسه تحت رجليك. تعرفون قصة زكريا الراهب، الصبي الجميل، حين سأله أنبا موسى الأسود: مَن هو الراهب؟ فما كان منه إلا أن خلع الطاقية التي كان يلبسها على رأسه، ورماها في الطين وداسها برجليه، ثم وضعها على رأسه، وقال: إن لم يفعل هكذا، لا يكون راهبًا!

غنانا الحقيقي هو قربنا من المصلوب، هذا الذي تعرَّى، وهو القادر أن يجعلنا نتعرَّى تعرية إرادية من **الأطياب** النتنة لهذا العالم الكاذب. يا إخوتي، أخطر شيء هو أن ننجو من بحر هذا العالم الواسع ثم نغرق في الميناء! هذا ما قاله أحد القديسين عندما رأى ربابنة مهرة عبروا المحيط بنجاح، وما إن وصلوا لمياه الميناء الضحلة حتى غرقوا.

هذا ما أخافه عليكم، يا إخوتي، بعد أن تكونوا قد قطعتم أشواطًا في حياتكم الروحية، واقتربتم كثيرًا من الوصول، إذا بكم تغرقون في الطين. هذا هو داء هذا الجيل، داء كنيسة آخر الزمان. للأسف أنتم اعتقدتم في أنفسكم أنكم الأفضل مِمن حولكم، تعظَّمتم على غيركم. هذا لا يجب أن يكون أبدًا. كل مَن يعبد الله لا يتعالى أو يتكبر أبدًا. الله لا يُشمخ عليه.

فإذا كنتَ مسيحيًا حقيقيًا ستتعرض للظلم والطرد. ينبغي أن تقبل هذا. كُن مثل سيدك الذي لم يكن له حقوق على الأرض، كان يُتمِّم واجباته ولم يُطالب بحقوق يستحقها. أتذكَّر أنني كتبتُ على باب قلايتي من أول يوم دخلت فيه الدير بالخط الكبير: "الراهب عليه واجبات وليس له حقوق"، وعشتُ بهذا المبدأ كل أيام حياتي.

آه! يا ويلك لو شعرتَ بعدم الاحتياج لشيء أو الاكتفاء بنفسك دون الرب. لابد أن تكون في حالة من العوز والفقر الحقيقي. صدقوني، يا إخوتي، أنت لن تنال قطرة تعزية أو نعمة في حياتك إن لم تشعر بالجوع والعطش المتواصل للرب. لذلك وَضَعَ المسيح الشرط الأعظم للارتواء: العطش: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ» (يو ٧: ٣٧).

ليتنا نكون مثل ذلك الشخص الذي يشعر أنه فقير ومسكين، ويجلس ساهرًا أمام إنجيله يقرأ ويهذُّ في الكلام، ثم تجده يبكي، ونسأله: ما الذي يُبكيك؟ يقول: الكلام حلو ولذيذ، وأنا لا أستطيع أن أستوعبه كله، ثم تجده يسأل: [هل من طريقة يأكل بها الشخص الكلام ليدخل داخله؟!].

أه! مَنْ مِنَّا مثل ذلك الشخص الذي يقرأ في الإنجيل قليلًا، ثم يقوم يُصلّي بمزاميره، وتجد عقله مشغولًا بآية قرأها ويتأمل فيها. وإذا به يجد أن الوقت قد تأخر، ولابد له أن ينام ليقوم مُبكّرًا لحضور الكنيسة. هذا الشخص مشغول بإلهه، شاعر أنه فقيرٌ محتاج فعلًا للرب.

أما الغني المُستغني، فوقته مشغول بالذي مرَّ والذي سيأتي. يفكر ماذا سيفعل، وما هي الطريق الأمثل للحصول على الشيء الفلاني. عقله مُشتَّتٌ، والشيطان يضع عصابة على عينيه لكي لا يرى. وطبعًا لا إنجيل مفتوح، ولا صلاة قلبية، ولا تأمل في آية، وتضيع منه الأيام بل الحياة. هذا باختصار لأنه لا يشعر أنه فقيرٌ أو أنه محتاجٌ للرب.

ولكن احذروا، يا إخوتي، من الإدانة، أن تضع نفسك في مستوى أعلى، تشعر أنك أفضل من أخيك. إذا أتاك هذا الفكر، قُلْ له: [ما لي أنا وللآخرين؟ أنا بائس وشقي وفقير وعريان، كيف لي أن أحكم على غيري وأدينه؟ عليَّ أن أهتم بمرضي وخطاياي، وأبحث عن خلاص نفسي أولًا. تكفيني الحروب الواقعة عليَّ]. قُمْ صلِّ وتوسل، اصرخ للرب لكي يُعطيك فقرًا أكثر. ونعمة أكثر.

صعبٌ جدًا أن تنقذ إنسانًا شاعرًا بنفسه أنه غنيٌّ وقد استكفى. عندما تحاول أن تنصحه سيعتقد أنك في مستوى أقل من مستواه، يحس أنه أعلى منك. لن تستطيع أن توصِّل له رسالة، سيهز لك رأسه ولا يأخذ شيئًا. هذا الإنسان فقير من الله، لا تجد فيه شيئًا يُنبئ بأن الروح يعمل فيه. وقليلًا قليلًا تفارقه النعمة، ويتعرَّى من ثوب النعمة، ويُرى عُريه قدام الناس كلها.

مَن هو الأعمى؟ هو الذي لا يرى فضائل الناس، بل يرى الفضائل في نفسه فقط. أما الإنسان ذو البصيرة الروحية فهو الذي يرى أخاه أفضل منه، يرى أقل فضيلة في أخيه ويمتدحه عليها.

«أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ». الذهب رمز للإيمان بالله. وإذا كان يلزم للذهب أن يصفُّونه بالنار، هكذا الإيمان يُختبر بالتجارب. فالغِنَى الحقيقي هو إيمان مُزكَّى بالتجربة.

الإنسان الغني هو شخص له مصدر قوة يعتمد عليها، ومن أين تكون تلك القوة، إلا الله نفسه. إيماننا بالرب يسوع، يُعطينا قوة نستطيع بها أن ننقلها للآخرين، بل ونُغنيهم.

ليتنا نُصلّي أن نبقى فقراء من أجل المسيح، لا نطلب ولا نلفظ أبدًا «إني غني وقد استغنيتُ» نموت ولا نقولها.

اعلموا أن الرب يحبنا، فنحن أولاده، ولهذا السبب هو يرسل لنا عصا تأديباته وتوبيخاته. وثق أنه لا يؤدِّب إلا مَن يُحبه: «لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ» (عب ١٢: ٦). بدون تأديب الرب لنا سنظل نشعر بالغِنى وأنه لا حاجة لنا إلى شيء. لذلك مَن يقبل التأديب يصير ابن حبٍّ أو ابن محبة.

السؤال هنا: كيف نزيد حرارتنا الروحية؟ كيف نزداد غيرةً ونشاطًا ونمتلئ أكثر من الروح القدس؟

**(يتبع)**

---

*** (بقية المقال المنشور صفحة ٣٣) **********

إنَّها تعمل كأعضاء لجسد واحد. كَمْ هو مثال رائع لنا نحن الأعضاء في جسد المسيح الذي يحبُّنا كثيرًا حتَّى إنَّه قال: **«أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ»** (يو١٧: ٢٤).

## صلاة

**أيُّها المسيح، ها عقلي، فكِّر من خلاله.**
**أيُّها المسيح، ها وجهي، أنِر من خلاله.**
**أيُّها المسيح، ها عيناي، انظر إلى النَّاس من خلالهما.**
**أيُّها المسيح، ها قلبي، أحبِب النَّاس به.**

# السفينة في وسط البحر[1]

❁ ❀ ❁

لقد كان أجمل الدروس وأقواها التي لقَّنها الرب يسوع لكنيسته الناشئة – للتلاميذ – تلك التي كان مكانها السفينة السائرة في وسط الأمواج الهائجة (مر ٤: ٣٥-٤١). لقد اختبر فيها التلاميذ أهمية وجود الرب في السفينة، وتعلَّموا في وسط البحر الهائج ما لم يتعلَّموه من أعظم المعجزات. ولقد رأى الآباء في حياة المسيحي في العالم، وفي حياة الكنيسة كلها، شيئًا كبيرًا في السفينة العابرة لبحر هذا العالم: شراعها: الصليب المقدَّس، ورُبَّانها: الرب يسوع. والكنيسة في عبورها تمخُر عُبَاب بحر العالم، وهي حَذِرة في عدم دخول مياه العالم فيها، وهي تعلم أنها تسير في اتجاهٍ مُضاد لتيارات العالم. تسير بقوة الروح القدس ضد تيار البحر المُتلاطم. وهذا السير المتواصل علامة حيويتها وقوتها. والمسيحي وكنيسته رغم أنهما ليسا من هذا العالم، ولكنهما ينفعان العالم كثيرًا. فالمسيحي نورٌ، والنور يُبدِّد ظلمة العالم، والسفينة تحمل رئيس الحياة، والحياة تبتلع فساد الموت. والكنيسة تحنو على العالم لتنتشل النفوس التي لاطمتها أمواج العالم لتُغرِقها. فالكنيسة سفينة إنقاذ، سفينة نجاة، تعمل عمل السامري الصالح مع كل الأجناس، الذين خارجها أكثر من الذين بداخلها. تعمل دائمًا وباستمرار، لأن طبيعتها العمل الدائم: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يو ٥: ١٧).

## أولاً: الكنيسة ليست من هذا العالم

يا رب، أنت تعلم أن سفينة حياتي تعيش في بحر العالم، بل إنك نبَّهتني لذلك وقلتَ لي: «لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ» (يو ١٥: ١٩). آبائي القديسون كان بينهم وبين العالم خطٌ واضح، ولم تتسرَّب مياه العالم لحياتهم. العالم الآن أمواجه

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد ديسمبر ١٩٧١، ص١٩.

شديدة، أمواج مادية وشهوانية ودوافع حب امتلاك وحب ظهور وطمع في مراكزه. وأنت يا رب يسوع وُلِدتَ في مذود الاتضاع، وهربت في هدوء أمام بطش العالم إلى أرض مصر، وذُقت الغُربة منذ طفولتك، وظُلِمتَ واتهموك أنك مُجدِّف وضد قيصر، وفي كل هذا شهدتَ ضد باطلهم لأنك لم تكن من عالمهم.

**ربي ما هو أسلوب حياتي في العالم؟**

١ – العالم يهتم بالخارج، خارج الصحفة، وأنتَ قُلتَ لي: ملكوت الله داخلك. ليس المهم شكل المذود؛ ولكن المهم يسوع داخل مذود حياتي. هل الإنسان المسيحي يهمه شكل الموضة واللبس، أم شكل الداخل الذي يسكنه يسوع؟ العروس تتزيَّن لتُعجِب عريسها يوم زفافها، وأنتِ يا نفسي، اهتمي بداخلك لتُعجبي يسوع. العريس السماوي لا يهمه نوع الموضة، بل يهمه الجمال الداخلي للنفس. والكنيسة اليوم ليس المهم فيها المظهر المادي، وكثرة وسائل الإعلام، بقدر ما يهمها أن تفوح منها رائحة المسيح الذكية[٢]. ليس لها أن تعظ عن عظمة الآباء، بقدر ما تسلك طريقهم. لقد كانت رائحة المسيح الذكية هي التي نشرت سيرة أنطونيوس للغرب، حتى شدَّت أنظار الأوربيين، فخلع أولاد الملوك تيجانهم، ليعيشوا مثل أنطونيوس. بل إن الذين تابوا بسيرة أوغسطينوس أكثر من الذين تابوا بعظاته. هناك آلاف الكُتُب التي تُنشر عن المسيح كل عام، ولكن الكل يسأل أين نجد المسيح؟! فالمسيح لا يُعلَن عنه بكثرة الكُتُب؛ لكن بحياته في أولاده، الذين تفوح منهم رائحته الذكية.

٢ – المسيح لا يقبل مجد العالم: «مَجْدًا مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ» (يو ٥: ٤١ ) لقد كان مجد الكنيسة في حياة شهدائها ونُسَّاكِها. مجد العالم في الرياء والمراكز والراحة واللَّذة، ومجدنا هو في العَرق والدموع والتوبة، لأن كل مجد ابنة الملك من داخل. نتضرَّع إليك، يا رب، أن تُعيد للكنيسة مجدها الذي منك، وليس الذي من العالم.

٣ – ينبغي أن يكون أسلوب التعامل في الأسرة، في العمل، في الكنيسة، هو أسلوب المسيح. فالدهاء والمكر والخداع والكذب والنفاق والمُداهنة والدخول فيما لقيصر، هذا الأسلوب عندما يدخل الكنيسة، يكون بمثابة تسرُّب لمياه العالم إلى سفينة حياتي.

---

(٢) رغم مرور أكثر من ٥٠ عامًا على كتابة هذه الكلمات، لكن مدى احتياج الكنيسة إليها اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى.

ربي، أنت أوصيتني بالصدق والمحبة، والمواجهة في شجاعةِ واتضاع، الفرز بين ما هو لقيصر وما هو لله، والخضوع للرؤساء، والاتكال على الله، والزهد، وإنكار الذات.

٤ – الرب يُحذِّرني من الأساليب الاجتماعية العالمية، ويقول لي: "الماء الذي يعطيه العالم، الذي يشرب منه يعطش، أما الماء الذي أنا أعطيه فالذي يشرب منه لا يعطش إلى الأبد"، (انظر: يو ٤: ١٣، ١٤). الحياة المسيحية باحتياجاتها لا تُشبَع بوسائل العالم السيكولوجية؛ ومشاكل الأسرة لا تُحَلُّ بالنظريات الاجتماعية؛ ومشاكل الشباب لا تواجَه بتركيز الحديث عن الكبت والاختلاط والجنس، بل بالحديث عن المسيح والتوبة. كل هذا بلا شكٍّ هو جنوح من السفينة لتصطدم بصخرة هذا العالم. الكنيسة أسلوبها هو الصلاة، التوبة، اللجوء لحضن يسوع، الانسحاق، أمَّا أنصاف الحلول في حياتي فهي عرض شيطاني.

٥ – من داخل السفينة يُعلّمني الرب هذا الدرس الخالد: إن غرق السفينة يعني غرق الكل، ونجاتها يعني نجاة الكل. علينا جميعًا أن نسعى للاتحاد والوحدة في الرأي والهدف واختفاء الذات. لا يقول أحدٌ مَنْ هو الأعظم، بل الكل يقول: لنعمل لكي ننجو. وهذه الروح مبنية على الطاعة والتفاهم وإنكار الذات. كما علَّمتني يا رب، أنه ليس لأحد الفضل في نجاة السفينة؛ بل الكل يقول: إن الرب وحده، هو الذي سمع الصراخ، وسكَّن الرياح، وقاد السفينة للأمان.

## ثانيًا: الكنيسة أقوى من العالم

رُبَّان السفينة يقول ثقوا: «أَنَا هُوَ لَا تَخَافُوا»، ويؤكِّد أنه سيكون لي في العالم ضيق (أمواج)، ولكنه يقول: ثق أنا قد غلبتُ العالم (بأمواجه الهائجة) (يو ١٦: ٣٣).

+ يا نفسي، بين يديك كتاب مقدَّس: أعترف أمامك يا رب، أني أهملته ولم أُعطِهِ حقَّه. وهذا الكتاب يُحدِّثني عن غلبة العالم وعن قوتي: «كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ» (١يو ٢: ١٤). إن كلمة الله قوة جبَّارة، فلا تُهمليها يا نفسي، إنها لا ترجع فارغة أبدًا، وهي سيف ذو حدَّين. إنها وسيلة نقاء القلب: «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يو ١٥: ٣).

+ وغلبتنا أكيدة بإيماننا بأن الله معنا: «كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهذِهِ هِيَ

الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا» (١يو ٥: ٤). «أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ» (١يو ٤: ٤). عندما دخل الرب السفينة سكنت الرياح (مر ٦: ٥١). لقد كان آباؤنا دائمًا يُردِّدون اسم يسوع، وداود النبي وضع الرب أمامه في كل حين، فلم يتزعزع. ونحن بالإيمان الذي نعيش به وسط السفينة نستطيع أن ننقل الجبال.

+ والكنيسة قوية بطهارتها وصلواتها: فالوقوف المتواتر أمام الله يعكس نور الله على حياتنا، فنكتسب جمالًا، ونُخيف الشيطان بصلواتنا. يصف سليمان الكنيسة قائلًا: "مَنْ هِي الْمُشرقة مثلَ الصباحِ، جميلةُ كالقمرِ، طاهرةٌ كالشمسِ، مرهبةٌ كجيشٍ بألوية" (انظر: نش ٦: ٤).

+ والكنيسة أقوى من العالم بمحبتها للأعداء: لقد هزمت الكنيسة الأباطرة بمحبتها، وحوَّلت الذئاب إلى حملان بوداعتها، وهزمت شهوات العالم بحبها للمصلوب، وبقوة صليبه. نعم، ما أرهبها كجيشٍ بألوية!

+ والكنيسة غنيةٌ بمسيحها: فإذا كان الدولار اليوم هو مصدر ثراء العالم، فإن الكنيسة الأولى كانت تُردِّد دائمًا: «لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!» (أع ٣: ٦). وكان شعار الرسول بولس دائمًا: «كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ» (٢كو ٦: ١٠). النفسُ المؤمنة تملك كنوز الحكمة والمعرفة والغنى، التي هي يسوع المسيح (كو ٢: ٣). لماذا تعيش الكنيسة فقيرة وهي غنية؟ ولِمَ تبحث الكنيسة عن مبادئ غريبة، وتعاليم مستوردة، وأنشطة عالمية فقيرة ندَّعي أننا بها نُغني الكنيسة؟ وذلك بدل أن تبحث عن حياةٍ غنية، عاشها آباؤنا، عاشوا أغنياء بالمسيح. يا نفسي، ليس لك غِنىً إلَّا يسوع حياتك.

+ الكنيسة دائمًا قوية بكلمة الله، قوية بالإيمان الذي يُقيم الموتى، قوية بطهارتها، قوية بصلواتها التي تُحضِر يسوع فورًا داخل السفينة، أو تُوقِظه لينتهر الرياح. الكنيسة قوية بصليبها وبصلبها لذاتها.

والعكس، عندما تترك الكنيسة إنجيل المسيح، وتخضع لإنجيل المجتمع. وعندما يضعف إيمانها، وتتدنس طهارتها وتفتر صلواتها، عندئذ يصغر قلبها فترمي صليبها.

فتصبح السفينة طُعمًا سائغًا لأمواج هذا العالم.

## ثالثًا: الكنيسة مسؤولة عن العالم

(١) الكنيسة مسؤولة أن تُسعِد العالم بالخبر السار، خبر الإنجيل (البشارة المفرحة). هي كارزة بالمسيح الذي يقيم الميت، ويخلق من الموت حياة؛ يخلق من الزانية قديسة، ومن العشَّار إنسانًا مُحبًّا للعطاء، ومن شاول العنيد بولس المُطيع. الكنيسة ليس بها رائحة موت بل رائحة حياة. يدخلها الزاني فيخرج طاهرًا، اليائس فيخرج مملوءًا رجاءً. يدخلها الحقود فيخرج مُحبًّا. يدخلها المُتكبِّر فيخرج متواضعًا. مسؤولية الكنيسة هي الكشف عن يسوع الفادي المنتظِر رجوع الخطاة وتوبتهم. الكنيسة مستشفى وليست محكمة (يوحنا ذهبي الفم). إنها داعية لكل نفس، لكي تشرب بفرج من ينابيع الخلاص.

(٢) والكنيسة سفينة صيد: جمعت سمكًا كثيرًا من كل الأنواع. إن المؤمنين صيَّادون، هدفهم جذب النفوس، لا يستريحون ولا يشبعون إلَّا بالصيد.

(٣) والكنيسة سفينة إنقاذ، إنها متواضعة وجريئة، تتواضع لتغسل أرجل الخطاة، وهي تعلم أنهم سيصيرون فيها قديسين. الكنيسة تُضمِّد جراحات شبابها الذين جُرحوا من اللصوص، وهي تُعوِّض لهم الدم النازف من جراحاتهم بدم المسيح. هي لا توسِّع جُرحًا، بل تصبُّ زيتًا. لا تُفرِّق بين جنسٍ وآخر، لأنها سامري صالح.

(٤) المسيحي نورٌ وملحٌ للعالم: «مَنْ هذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ؟» (نش ٣: ٦). إنه نور أعمدة الدخان الخارجة من الشمعة التي تحترق لتُضيء من حولها، وفي احتراقها يخرج نورٌ كأعمدةِ الدخان فيُضيء للجالسين في الظلمة، ويُخرج عطرَ المُر، عطرَ آلام الشهادة ليسوع، وعطرَ اللُّبان، عطرَ الصلاة التي ترفعها الكنيسة من أجل العالم. الكنيسة لا تعرف الانعزال، إلا من أجل الصلاة، ثم تعود للعالم لتخدمه، فتجذبه بعطرها إلى فوق، حيث يرتفع دخانها.

**وفوق كل هذا، فللكنيسة،**

أولًا، رُبَّان ماهر. هو الذي سمح بعبور السفينة للبحر، وسمح بالريح المُضادة وهياج الأمواج، وتظاهَرَ بتجاوزه السفينة. كل هذا سمح به الرب من أجل نفسي المُدلَّلة الضعيفة الإيمان، المُتَّكلة على ذاتها، غير المُحِبَّة للآخرين. تركني لكي أصرخ إليه فيحضر

وتهدأ حياتي وأُومِن أنه لا سلام ولا حياة ولا نجاة إلَّا في وجود يسوع في سفينة حياتي. وأعطاني الدرس عندما أجده "أن أمسكه ولا أرخه" (نش ٣: ٤). وحرَّرني من كبريائي، فصرختُ وقلتُ: «خيرٌ لي أنك أذللتني لكي أتعلم وصاياك» (مز ١١٩: ٧). لم يكن هناك وسيلة لتصفية الصديد من قروح حياتي، إلَّا بالعصر والضغط وهياج الأمواج، وعندما يخرجُ الصديد، أحس بالراحة، فتتفتَّح عيناي على يسوع، متربِّعًا على عرش قلبي، فأمسكُ به ولا أرخيه، ربي إني أشكرك.

ثانيًا، لنا أصدقاء على الشاطئ: من بعيد وصلوا بسلام، يُصلُّون من أجلنا كثيرًا، ويرمون لنا أطواق النجاة، ويُرسلون لنا وسائل الإنقاذ بآلات الإرسال. يقول القديس أنطونيوس: "أَلقِ بأثقالك في البحر (أموالك وما يُربك حياتك) وتمسَّك بالصليب فهو وسيلة النجاة". ويُرسِل لنا يوسف الصدِّيق خبرته ويقول: "تمسَّك بالرب ولا تصنع الشر لأنه حاضر في كل مكان معك". أمَّا أرسانيوس فيقول: "بهدوء اصمت فتنجو ولا تندم". وموسى يقول: «قِفُوا وَانْظُرُوا خَلَاصَ الرَّبِّ» (خر ١٤: ١٣). والأنبا بيشوي يقول: "احملوا المسيح، لأنه أمامكم في شخص إنسانٍ محتاج". هذه السحابة من الشهود تقول لنا: تشدَّدوا، تشجَّعوا، سيروا في طريق الصليب الذي سرنا فيه، صلواتنا من أجلكم ترتفع في شكل بخور من المجامر الذهبية في أيدي الأربعة والعشرين قسيسًا (رؤ ٥: ٨).

يسوع معكم، الرب قريب. والوصول لشاطئ الأمان أكيد.

الرب الهنا يقود السفينة من مجد إلى مجد في بحر هذا العالم المتلاطم برعاية وكيله الأمين الجالس على كرسي مار مرقس الذي اختاره لقيادة السفينة للبر بسلام آمين.

**********


**دير القديس أنبا مقار**

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

**00211300000153**

**دير القديس أنبا مقار**

**بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني**

من النصوص الآبائية

# رداء المجد

**للقديس مار أفرآم السرياني**(١)

+ **«لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ»** (غل ٣: ٢٧)

كتب القديس أفرآم السرياني في إحدى أناشيده عن ميلاد المسيح بخصوص التجسُّد ومفاعيله بالتعبيرات الآتية:

[جميع هذه التغييرات صنعها الرحوم،

وهو متعرٍّ من المجد لابسًا جسدًا،

لأنه ابتكر طريقةً يكسو بها آدم مرةً أخرى،

بذلك المجد الذي تعرَّى منه آدم.

التـفَّ المسيح بالأقماط،

مقابل أوراق الشجر التي تغطَّى بها آدم.

ارتدى المسيح ملابس عوضًا عن جلود آدم،

فقد تعمَّد من أجل خطية آدم،

وضُمِّخ جسده (بالحنوط) من أجل موت آدم،

ثم قام وأقام آدم في مجده.

مباركٌ هو ذاك الذي نزل ولبس آدم وصعد!!] (On Nativity, 23: 13)

---

(١) أُعِدَّ هذا المقال بالاستعانة بكتاب:

Sebastian Brock.*The Luminous Eye, the Spiritual World Vision of St. Ephrem*, 1985, pp. 65-76.

هكذا غطَّى مار أفرآم تدبير الخلاص بأكملهِ في مقطع واحد من القصيدة مستخدمًا أسلوبه المجازي المحبوب في تعبيراته: "لابسًا" و"خالعًا" الملابس. بسقوط آدم تعرَّى من المجد، أي من "**رداء المجد**"، ولكن تأثير السقوط قد انقلب بواسطة الكلمة الإلهي الذي "تعرَّى من مجده"، و"لبس جسدًا"، أو كما ذَكَرَ في آخر المقطع: "لبس آدم"، أي البشرية، وهكذا رفع البشرية إلى حالتها الأصلية ملتحفةً بـ"**رداء المجد**".

بواسطة هذا الأسلوب المجازي لارتداء الملابس، نجح مار أفرآم في إمداد قُرَّائه بصورة مُتماسكة رائعة لتدبير الخلاص وتاريخه برُمَّته، منذ الخلق والسقوط، ثم التجسُّد الذي أدَّى إلى السرائر وبالأخص سرَّي المعمودية والإفخارستيا، وحتى القيامة النهائية. لقد زُوِّدت هذه السلسلة المتصلة بمعنى "**رداء المجد**" الذي يسميه مار أفرآم أحيانًا "رداء النور".

**الرداء الأصلي:**

جديرٌ بنا أن نتأمل باختصار في فكرة "رداء المجد أو النور" هذا الذي التحف به كلٌّ من آدم وحواء أصلًا، ومن الواضح أن ق. أفرآم والمسيحية السريانية بصفةٍ عامةٍ قد ورثت فكرة هذه الصورة الأصلية لـ"رداء النور" أو "رداء المجد" التي كانت مألوفة جدًّا في التفسيرات اليهودية للآية تك ٣: ٢١: «وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا». وقد انتشر هذا التفسير وتداول عندما بدأت المسيحية في الانتشار.

وقد سأل الشُّرَّاح القدماء أنفسهم: "ماذا كانت هذه الأقمصة أو الملابس"؟ ونحن نواجه عدة أجوبة مختلفة على هذا السؤال عند كلٍّ من اليهود والمسيحيين. ولكننا وجدنا لأجل موضوعنا هذا تفسيرَين في مصادر يهودية لهما مغزًى هام بخصوص موضوع "**رداء المجد**" الأصلي:

**التفسير الأول:** إذا رجعنا إلى تقليد الترجوم[٢] نكتشف في الآية المذكورة بدلًا من

(٢) هو الترجمة الأرامية للعهد القديم ولاسيما التوراة، كما كانت تُقرأ شفاهًا في المجمع أيام الهيكل الثاني وبعد ذلك. وذلك بحسب التفسير التقليدي الذي كان مقبولًا بصفة عامة، وقد بدأت النسخ المدونة من الترجوم تنتشر ابتداءً من القرن الثاني الميلادي.

"أقمصة من جلد" كما في اللغة العبرية: "**رداء مجد**"، وهي التي استعملها مار أفرآم وكُتَّاب سريانيون آخرون.

**التفسير الثاني:** إذا رجعنا إلى "مدراش ربَّا"[٣] اليهودي عن التكوين نجد أن الرابِّي المشهور في القرن الأول المسيحي واسمه "رابِّي ميرا"، كان معروفًا بأنه يمتلك مخطوطة عبرية للتوراة بها الآية المذكورة هكذا: "ملابس من نور" (حيث يوجد اختلاف في حرف عبري واحد بين تعبيري "من جلد" و"من نور").

وقد أشار مار أفرآم كثيرًا إلى رداء المجد الأصلي في شرحه لسفر التكوين، ولا سيما فيما يتعلَّق بالآية: ٢: ٢٥: «وَكَانَا كِلَاهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لَا يَخْجَلَانِ»، وهنا يقول القديس في شرحه:

[إنهما كانا لا يخجلان بسبب المجد الذي كانا يرتديانه. وبمجرد أن نُزِعَ منهما هذا المجد، بعد التعدِّي على الوصية، خجلا لأنهما تعرَّيا من المجد، ولذلك أسرع كلاهما إلى أوراق التين لكي يغطِّيا جسديهما ولا سيما أعضاءهما المُخجِلة].

**استرداد الرداء:**

إن الغرض الكلِّي من تجسُّد المسيح هو إعادة كسوة آدم، أي البشرية، بـ"**رداء المجد**" المفقود هذا، حيث يقول مار أفرآم:

[جاء المسيح لكي يجد آدم الذي ضلَّ،

فقد جاء لكي يُعيده إلى عدن في رداء النور] (عن البتولية ١٦: ٩).

كما يقول في إشارة خاصة لحواء:

[نظرت حواء إلى المسيح، لأن عري النساء كان عظيمًا،

والمسيح هو الذي استطاع أن يُعيد كسوتهنَّ،

---

(٣) المدراش هو تفسير للعهد القديم انبثق من المدارس الربّينية في فلسطين القديمة. والهدف منه توضيح المعنى العميق للنص الكتابي لكي تُستَخرَج منه شرائع ومبادئ عقائدية وأدبية. أما "مدراش ربَّا" فهو أكثر نُسَخ المدراش المألوفة شعبيًّا.

فقد كُنَّ قد تعرَّينَ من المجد،

وهكذا حلَّ المجد مكان أوراق التين] (عن الميلاد١: ٤٣).

وقد التقط مار أفرآم موضوع أوراق التين المذكورة في لك ٣: ٧ وقال عنها:

[عندما أخطأ آدم وتعرَّى من المجد الذي كان قد اكتسا به، غطَّى عُريه بأوراق تين، وجاء مُخلّصنا وتحمَّل الآلام لكي يشفي جراح آدم ويزوِّده برداء مجد لعريه. وقد جفَّف شجرة التين (مت ٢١: ٢٠، ٢١) لكي يُظهِر أنه لم تَعُد ثمة حاجة لأوراق تين لتكون رداءً لآدم حيث إن آدم قد عاد إلى مجده السابق، وهكذا لم تَعُد هناك أي حاجة لأوراق أو "أقمصة من جلد"] (شرح الدياتسارون ١٦: ١٠).

كما يقول في مكان آخر:

[مباركٌ هو الذي تحنَّن على أوراق آدم

وأرسل إليه رداء مجد ليُغطِّي حاله المُعرَّى] (عن الصوم ٣: ٢).

وقد لاحظنا عدة مرات أن تعبير "يَلبِس الجسد" هو أسلوب مار أفرآم الاستعاري المفضَّل للتعبير عن التجسُّد، ولكي يُبرز استمرارية تاريخ الخلاص، فهو كثيرًا ما امتدَّ بالصورة لكي تشمل إشارةً خاصةً لآدم فيقول:

[المجد لكَ يا مَنْ اكتسيتَ بجسد آدم المائت،

وبذلك جعلتَ منه ينبوع حياة (أو خلاص) لجميع المائتين] (حديث عن ربنا: ٩).

وينبغي أن نلاحظ كم أنه توجد في ذهن مار أفرآم رباطات مُحْكَمة بين آدم، أي البشرية، والمسيح، وذلك في فقرات مثل الآتية:

[لَبِسَ الرب آدم،

وبواسطته فتح الفردوس بدخوله بقوة] (عن الهرطقات ٢٦: ٦).

وأيضًا:

[بواسطة آدم الثاني الذي دخل الفردوس،

دخل كل واحد إليه،

لأنه بواسطة آدم الأول الذي خرج منه،

كل واحد خرج منه] (عن الخبز غير المختمر ١٧: ١٠).

كذلك، فكما أن الله الكلمة "لبس جسد آدم"، هكذا يصفه مار أفرآم كـ"لابس لجسدنا" (عن الكنيسة: ٤٢).

وعندما يتأمل مار أفرآم في "العجب العظيم" من ميلاد الرب، فهو يعرِّف موضوع "**رداء المجد**" بقرينتين مختلفتين:

**القرينة الأولى**: القديسة مريم أُم المسيح التي كانت هي المائتة الأولى التي اكتست مرةً أُخرى بهذا الرداء. ففي الفقرة التالية كأن القديسة مريم تقول بضمير المتكلم:

[ابن العلي جاء وسكن فيَّ، وأصبحتُ أنا أُمّه.

وكما أعطيتُه أنا هذه الولادة مني،

هكذا هو أيضًا أعطاني ولادةً (أي ولدني) ولادة ثانية،

فقد لَبِسَ رداء أُمّه، أي جسدها،

بينما لبستُ أنا مجده] (عن الميلاد ١٦: ١١).

في هذا المقطع المؤلَّف ببراعة يمكننا أن نلاحظ مرةً أُخرى نموذج التبادل والتكامل الذي يحب مار أفرآم أن يرتاده كثيرًا: فإن ولادة المسيح الأولى من الآب وولادته الثانية من السيدة العذراء، قد وُزنتا هنا بطريقة تقابلية مع الولادة الجسدية للسيدة العذراء وولادتها الثانية، أي معموديتها، التي، كما سنرى، يعتبر مار أفرآم أنها كانت تتم بينما كان المسيح في بطنها.

إن اكتساب القديسة مريم لرداء المجد يُقابَل بصفةٍ خاصةٍ بفقدان حواء له في نشيدٍ آخر للقديس عن الميلاد:

[لَبِسَت حواء في عذراويتها أوراق الخزي،

ولكن والدتك يا رب في بتوليتها،

لَبِسَت رداء مجد يشمل جميع الناس،

في حين أنها أعطت جسدًا كرداء خفيف

لذاك الذي يغطّي الجميع] (عن الميلاد ١٧: ٤).

**القرينة الثانية:** رداء مجد السيدة العذراء، الذي شمل جميع الناس، يأتي بنا إلى القرينة الثانية ضمن رواية الميلاد، حيث يقدِّم مار أفرآم معنى الرداء، وذلك فيما يتعلَّق بالأقماط التي لُفَّ بها المسيح الطفل:

[في بيت لحم لبس الملك داود كتانًا رقيقًا،

ولكن رب داود وابنه

خبّأ مجده هناك في أقماطه،

هذه الأقماط بعينها زوَّدت الجنس البشري برداء مجد] (عن الميلاد ٥: ٤).

**معمودية المسيح والمعمودية المسيحية:**

المرحلة التالية في تاريخ رداء المجد تأتي مع معمودية المسيح في نهر الأردن. وفي الكنيسة السريانية الأولى كان هذا الحدث يُنظَر إليه باعتباره المصدر الرئيسي للمعمودية المسيحية كلها، فإن المسيح في الأردن "افتتح سر المعمودية" (عن البتولية ١٥: ٣). ويُنظَر إلى الروايات الإنجيلية لمعمودية المسيح ليس باعتبارها الإعلان العمومي عن بنوَّته الإلهيَّة فحسب؛ بل أيضًا كاستعلان للثالوث للحواس البشرية حيث يقول القديس إن الآب استُعلن لحاسة السمع بواسطة الصوت الإلهي، والابن لحاسة اللمس، والروح القدس لحاسة البصر في هيئة جسمية مثل حمامة (عن الإيمان ٥١: ٧).

فإن الصفة الثالوثية لمعمودية المسيح التقطها مار أفرآم من توجيه الرب اللاحق للرسل: «عَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت ٢٨: ١٩).

وينظر القديس إلى معمودية المسيح من ناحيتين مختلفتين بعض الشيء: فهي من ناحية جزء من عملية الجمع بين الله والخبرة البشرية. وعلى ذلك، فإن الكلمة الإلهي ليس فقط "لَبِسَ جسدًا"، بل إنه أيضًا "التحف بمياه المعمودية" (عن الميلاد ١٢: ٢). وفي موضع آخر يستعمل المعنى المزدوج للفعل السرياني "mad" الذي يحمل كلا المعنيين: "يتعمَّد" و"يغطس"، فإنه يصف المسيح بأنه يغطس (أو يغوص) لأجل الكنز الذي

سيُعطي الحياة والخلاص لبني آدم، فيقول:

[المسيح، مع كونه غير مائت بطبيعته،

اكتسى بجسدٍ مائتٍ، فقد تعمَّد (أو غطس)

وأخرج من الماء كنز الخلاص لجنس آدم] (عن الميلاد ٧: ١٠).

ومن الناحية الثانية، فإن رؤية مار أفرآم لمعمودية المسيح، تُظهِر بصفةٍ خاصةٍ اهتمامًا كبيرًا بربطها بالمعمودية المسيحية. ففي نشيد هام عن المسيح في نهر الأردن وفي بطن القديسة مريم يربط هاتين الناحيتين: معمودية المسيح في "رحم" الأردن والحَبَل به في رحم السيدة العذراء. فكلا الرحمين: رحم مريم ورحم الأردن، بحملهما للمسيح النور قد اكتسيا بنور من وجوده بداخلهما، وهكذا صار رحم القديسة مريم ينبوعًا لمعموديتها، وصار رحم الأردن ينبوعًا للمعمودية المسيحية:

[النهر الذي اعتمد فيه المسيح، حبل به مرةً أخرى رمزيًّا.

الرحم الرطب بالماء، حبل به في طهارةٍ وولده في عفةٍ، وأصعده في مجد.

في رحم النهر الطاهر، ينبغي أن تتعرّف على القديسة مريم ابنة البشر،

التي حبلت دون أن تعرف رجلًا، التي ولدت بدون جماع،

التي ربّت بعطية (إلهيَّة) الذي هو ربُّ كل عطية.

مثل كوكب الصبح في النهر، الكوكب الساطع في الرحم،

أشرق فوق قمة الجبل، وسطع أيضًا في الرحم.

لقد أبهر البصر عندما صعد من النهر، وأعطى استنارةً عند صعوده.

اللمعان الذي التحف به موسى النبي، أحاط به من الخارج،

في حين أن النهر الذي تعمَّد فيه المسيح اكتسى بالنور من الداخل،

وهكذا أيضًا جسد القديسة مريم الذي سكن فيه، قد سطع من الداخل]

(عن الكنيسة٣٦: ٣-٦).

(يتبع)

# مُفترَق الطُّرق الرَّهيب

## (١) الإنسان عند مُفترَق طريقَين

✚✚✚

[قيل عن أخٍ من الرهبان إنَّه زار شَيخًا كان ساكنًا في المغاير، وكان الشَّيخ ذا عقلٍ متيقِّظٍ لدرجة أنَّه كان حيثما توجَّه يتوقَّف عن السَّير ويستعرض فكره ويسأله: "كيف حالك يا أخي؟ أين نحن؟" فإذا وجد عقلَه يترنَّم بالمزامير ومتضرِّعًا، حمده واستدامه، وإن وجد ذاته متفكِّرًا في أيِّ شيءٍ من الأشياء، شتم ذاته في الحال قائلًا: "هلمَّ من هناك! قف عند حدِّك، والزمْ عملَك!][(١)]

[أخبروا عن شَيخٍ أنَّه كان جالسًا في قلَّايته، فأتاه أحد الإخوة في اللَّيل، وأراد الدُّخول إليه. فلمَّا بلغ الباب، سمع صوتَه من داخلٍ وهو يقول: "يكفي، يكفي! حتَّى متى؟ اذهبوا الآن من قدَّامي!" ثمَّ سمعه يقول: "تعال، تعال يا صديقي!" فلمَّا دخل إلَيه قال: "لمَن كنتَ تتكلَّم يا أبي؟" قال له: "لحسيَّاتي الرَّديئة كنتُ أطرد، وللصالحات كنتُ أدعو.][(٢)]

كلَّا، لم يكن هذان الشَّيخان القدِّيسان مجنونَين، ولا بلغا أرذل العمر فضاع رشدهما، إنَّما هما ينطقان «بِكَلِمَاتِ الصِّدْقِ وَالصَّحْوِ» (أع ٢٦: ٢٥). بل إن لم يكن الإنسان هكذا، فهو مسكينٌ أشبه ما يكون بأصَمَّ لا يسمع، أو بضريرٍ لا يرى، مَثَّلَه القدِّيسون "بقبَّةٍ مرتفعةٍ في وسط السُّوق، وكلُّ من أراد، جاز تحتها"[(٣)]. هذا هو الإنسان، كلُّ إنسان، في كلِّ زمانٍ ومكان: دائمًا في حالِ

---

(١) بستان الرُّهبان، قول ٣٢٦.
(٢) بستان الرُّهبان، قول ٨٨٢.
(٣) بستان الرُّهبان، قول ١١٦٧.

الاختيار بَين نقيضَين. أيًّا كان الإنسان: شابًّا يافعًا في مقتبَل العمر وفي فَوَران الغرائز أم عجوزًا طاعِنًا على مشارف القبر وعلى أعتاب اللُّحود، لا يَبرح واقفًا في موضعٍ واحدٍ ثابتٍ لا يغادره قطّ طوال هذا الدهر: عند مُفترَق طريقَين، وعليه أن يختار بنفسه أيَّ الطَّريقَين يَسلك.

منذ بدء الخليقة، والإنسان يقف دائمًا على مفترَق طريقَين: الحياة والموت: «قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا» (تث ٣٠: ١٩). هكذا أراده الله الَّذي خلقه على صورته ومثاله، أن يكون حرًّا، له أن يختار طريقه بملء إرادته: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (تك ٢: ١٦، ١٧). كانت المخالفة - ولا تزال - في متناوَل اليد، قريبةٌ جدًّا، بل إنَّها «فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ» (تك ٣: ٣)، ففي الذَّهاب والإياب تجذب النَّواظر وتثير الحواسّ وتهاجم الإرادة. "أذوق من الشَّجرة المحرَّمة أم لا"[٤]؟ "أقتلُ أخي أم لا"[٥]؟ "أهربُ من هذا المكان أم لا"[٦]؟ "أَأَقْبل هذا الفكر أم لا"؟ "أتصفَّح هذا الموقع أم لا"؟ لكن لماذا لا يفعل الله شيئًا؟ إنْ كان لا بدَّ من الشَّرّ، فلماذا لا يُبعده قليلًا؟ لماذا لا يُصعِّبه قليلًا؟ لماذا لا يُقبِّحه قليلًا؟ أتراه يريد سقوط الإنسان؟ أوَ ينصب له الفخاخ؟ أم لَعلَّه يُسَرُّ بانزلاق قدميه، ويُصَفِّق لهزيمته؟ حاشا وكلَّا! كلُّنا يعرف أنّ الله لا يُسَرُّ بموت الشِّرِّير بل برجوعه عن طريقه[٧]. فلماذا إذًا هذه الحرب الضَّروس التي لا تبرح تحوط بالإنسان؟ ولماذا هذه الرِّياح العاتية الَّتي لا تنفكُّ تهدِّد سفينته؟

إنَّه الحبّ! نعم، هذه هي محبَّة الله للإنسان، أن يجعله حرًّا مثله، فيعطيه الفرصة الَّتي لا تتمتع بها أيُّ خليقةٍ أخرى: أن يُحِبَّ الله حبًّا حقيقيًّا. فلا حُبَّ بلا حرِّيَّة! وكلَّما ازداد مجال الحريَّة وصَعُب اختبارها، عظُمَت المحبَّة وغلا ثمنُها. فالله لا يريد من الإنسان محبَّة طبيعيَّة، كمحبَّة الأمّ أو الأب، بل محبَّة إلهيَّة فائقة، تسمو وتعلو على محبَّات اللَّحم والدَّم: «مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي» (مت ١٠: ٣٧). من أجل ذلك فقد أعطاه الحريَّة الثَّمينة، ووضعه على الدَّوام في مفترق طريقين، حتى إذا ما أحسن الاختيار، تَزَكَّت محبَّتُه وارتقَت من مستوًى طبيعيٍّ إلى آخرَ إلهيّ.

---

(٤) انظر: تك ٣: ٦.
(٥) انظر: تك ٤: ٨.
(٦) انظر: تك ٣٩: ١٢.
(٧) انظر: حز ١٨: ٢٣.

لكن، يا لَلأسف! قد أساء الإنسان الاختيار، وما كان على قدر المسؤوليَّة، فانحطَّ عوض الارتفاع، وأُهين عوض الإكرام. فالحريَّة الَّتي أُهدِيَت له من فرط محبَّة الخالق، جعلها هو أداةً لهلاكه وعلَّةً لسقوطه، وبدا الله وكأنَّه قد أَعطى امتيازًا جليلًا لمَن لا يعرف قيمته، أو استَأمن أهوجَ طائشًا على أثمن كنوزه. وهكذا أمسى تاريخ البشرية مذ ذاك سلسلةً لا تتوقَّف من الإخفاقات، فسادت الشُّرور وعمَّت المظالم، "وتخطَّى البشرُ كلَّ حدودٍ، وأصبحوا يخترعون الشَّرَّ ويتفنَّنون فيه. فكان الجنس البشريّ يَهلك، وكان الإنسان العاقل الَّذي خُلق على صورة الله آخذًا في الاختفاء، وكانت صَنعة الله آخذة في الانحلال. فماذا يفعل الله الكليّ الصَّلاح إذن؟ أيَحتمل أن يرى الفساد يسود البشر، والموت يَنشب أظفاره فيهم؟ وما الفائدة من خلقتهم منذ البدء؟ لأنَّه كان خيرًا لهم لو لم يُخلَقوا من أن يُخلَقوا فيُهمَلوا ويَفنَوْا"[٨].

وهنا حدث ما لا يمكن التَّعبير عنه، وما يتعذَّر على العقل أن يَعِيَه، وما يستعصي على كلِّ شرحٍ أو وصف: «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يو ١: ١٤). لا مجال ههنا لفَهمٍ أو حكمةٍ أو علمٍ، إنَّما فقط للإيمان الَّذي يَقبل هذه الحقيقة، فينقل صاحبَه توًّا «مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (يو ٥: ٢٤). أجل، لقد أخرج اللهُ يدَه من حضنه[٩]، و«كَلَّمَنا في ابنه» (عب ١: ٢)، و«افتقدَنا من العلاء» (لو ١: ٧٨). جاء الابن الوحيد، «آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ» ( في ٢: ٧)، ووقف موقف الإنسان، هناك هناك على مفترق ذَيْنِك الطَّريقَين.

## (٢) إنسان جديد على مفترق الطَّريقَين

رغم عدم معقوليَّتها المطلقة، فحقيقة أن الله الكلمة صار إنسانًا هي جوهر المسيحيّة. فمَن لا يرى يسوع الناصريّ «إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ» (رو ٩: ٥)، بل مجرَّد «إنسانٍ نبيٍّ مقتدرٍ في الفعل والقول» (لو ٢٤: ١٩)، فهو ليس مسيحيًّا على الإطلاق، بل في أفضل الأحوال أحد أتباع "شِيعة النَّاصريِّين"[١٠]؛ أمَّا من يستعظم الله الكلمة على أن يصير إنسانًا كاملًا، فإنَّه يُكَذِّب ذاك الَّذي أَقَرَّ علانيةً أنَّه إنسان[١١]، ولم يحبَّ لقبًا قَدْرَ محبَّته لِلَقَبِ "ابن الإنسان".

---

(٨) القديس أثناسيوس الرسولي، تجسُّد الكلمة، الفصل ٥، ٦، ترجمة القمص مرقس داود، ١٩٤٢.
(٩) انظر مز ٧٤: ١١.
(١٠) انظر: أع ٢٤: ٥.
(١١) انظر: يو ٨: ٤٠.

إنمَّا المسيحيُّ الحقُّ هو الَّذي يرى في المسيح الاثنين معًا: الإله والإنسان، ومن هذه الرؤية يجني الثمرة المشتهاة الَّتي طالما اشتاق إليها الإنسان الواقف أبدًا على مفترق الطرق الرَّهيب، ألا وهي أن يختار بملء إرادته الخير دون الشَّرّ. هذه هي التقوى، وأمَّا سرُّها فهو المسيح: «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تي ٣: ١٦).

يسوع المسيح الناصريّ هو الإنسان الوحيد في تاريخ البشريَّة الَّذي وهو بعدُ صبيٌّ، «قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الْخَيْرَ أَوِ الشَّرَّ يَرْفُضُ الشَّرَّ لِيَخْتَارَ الْخَيْرَ»[١٢]. فهو كإنسانٍ وقف موقفَ كلِّ إنسان: في مفترق الطرق. لكن، ولأول مرَّةٍ في تاريخ البشر، اختار دائمًا الخيرَ دون الشَّرّ. فهو مجرَّبٌ في كلِّ شيءٍ مثلنا، لكن دون خطيَّة[١٣]. حقًّا لقد أحبَّ البرَّ وأبغض الإثمَ[١٤]. هذا الصنيع العظيم غير المسبوق هو معجزة الله الكبرى، هو هديَّة الله للإنسان، هو هبته الّتي لا تقدَّر بثمن. بلى! ثمنها هو الإيمان: «مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا» (يو ١٤: ١٢). الإنسان البائس الشقيّ المعذَّب جزَّاء اختياره الموت دون الحياة، والشرّ دون الخير، قد أُعطِي أخيرًا أن يختار الحياة والخير[١٥]. كيف؟ بالإيمان بيسوع المسيح.

عَوْدًا على بدءٍ. هلمَّ نرَ الإنسانَ وهو في المسيح يسوع، لا يزال واقفًا في مكانه الَّذي لن يبارحه لحظةً واحدة طالما هو في هذا الدَّهر: بين مفترق طريقَين. لكنَّه بدلًا من أن يكون قصبةً تحركها الرِّيح، أصبح إنسانًا جديدًا جبَّارًا، له سلطانٌ على إرادته وعلى أفكاره. "يحمد عقله ويستديمه" إذا وجده مترنِّمًا ومسبِّحًا، وينتهره ويعيده إلى صوابه إذا وجده منحرفًا زائغًا؛ "يطرد حسيَّاته الرديئة، ويدعو حسيَّاته الصَّالحة". هذا هو زمان المسيح! قد أضحى الإنسانُ الشَّقيُّ منزلًا للآب والابن[١٦]، ومسكنًا للرُّوح القدس[١٧]، هذا الَّذي يُرْشِدُهُ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ[١٨]. فلم يتبقَّ للإنسان سوى أن «يَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ» (رؤ ٢: ٧).

---

(١٢) إش ٧: ١٥، ١٦ سبعينية.
(١٣) انظر: عب ٤: ١٥.
(١٤) انظر: مز ٤٥: ٧.
(١٥) انظر رو ٧: ٢٤، ٢٥.
(١٦) انظر: يو ١٤: ٢٣.
(١٧) انظر: ١ كو ٣: ١٦.
(١٨) انظر: يو ١٦: ١٣.

# معاملات الرب الحبية التأديبية معنا

إنَّ السيد الرب هو صاحب العبارات الفيَّاضة بأنغام الرِّقَّة والطمأنينة، التي لا تُقدِّم للنفس السَّقيمة إلَّا حضنًا دافئًا، فيه القلبُ يُرنِّم بأنغام الأبد بل ويرتقي فوق كل واقع أليم (انظر: مت ١١: ٢٨). إنَّ حياتنا في إجمالها وفي تفصيلها، لا تشهد للسيد إلَّا عن سياج المحبة والإحاطة بالعناية والقدرة الإلهيَّة. ألم يقل الشيطان للرَّب مرةً، مُظهِرًا ما في قلبه من حقدٍ ذميم على تقيٍّ وحائدٍ عن الشَّر: «أَلَيْس أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟» (أي ١: ١٠). ألم يأتنس سائح القفر وشريد الخرائب، بهذهِ الإحاطة الحُبية؟: «وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ، وَفِي خَلَاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلَاحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ.» (تث ٣٢: ١٠).

لكن ما يَلْفِت الأنظار هو أسلوبٌ يبدو غريبًا عن أحاديث الرب الحُبّيَّة: «هأَنَذَا أُسَيِّجُ طَرِيقَكِ بِالشَّوْكِ، وَأَبْنِي حَائِطَهَا حَتَّى لَا تَجِدَ مَسَالِكَهَا. فَتَتْبَعُ مُحِبِّيهَا وَلَا تُدْرِكُهُمْ، وَتُفَتِّشُ عَلَيْهِمْ وَلَا تَجِدُهُمْ. فَتَقُولُ: أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ إِلَى رَجُلِي الأَوَّلِ، لأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ خَيْرٌ لِي مِنَ الآنَ» (هو ٢: ٦-٧). فمن أين للسيد مثل هذه اللغة؟ ولماذا الحائط ولماذا السياج من الشوك؟ وإن كانت قدرة إلهنا تُحيط بنا وتُسيِّج طريقنا وحياتنا. فما سياج الشوك هذا؟ وما هذا الحائط إذًا؟

عندما نضل الطريق ونمعِن في البُعد، نرى الرب يُسيِّج طريقنا بالشوك ويبني الحوائط حتى لا نجد مسالكنا. فالرب هو الذي سيَّج طريقها - النفْس المُرتدَّة - بالشوك لكي يُعرقِلَ مسارها، ولكن أي مسارٍ؟ وهو الذي بنى حائطها حتى لا تجد سبيلها وتَفْشَل رغائبُها؟ وَأَيَّة رغائب يا تُرى؟ إنها رغائب السعي وراءَ سادةٍ سواه، بل جنوح القلب للتعلق بمن عداه.

يكثُرُ الوعيد وتكثُرُ المعاملات التأديبية في (هو ٢: ٥-١٣) فنسمع الرب يقول: «أُسَيِّجُ طَرِيقَكِ بِالشَّوْكِ ... أَبْنِي حَائِطَهَا ... أَرْجِعُ وَآخُذُ قَمْحِي ... أَنْزِعُ صُوفِي وَكَتَّانِي ... أَكْشِفُ عَوْرَتَهَا ... أُبَطِّلُ كُلَّ أَفْرَاحِهَا ... أُخَرِّبُ كَرْمَهَا وَتِينَهَا ... وَأَجْعَلُهَا وَعْرًا ... وَأُعَاقِبُهَا ...». ولكن بدءًا من (هو ٢: ١٤-٢٣)، تكثُرُ الوعود والتعويضات الحُبّيّة. فهناك تكامل وانسجام بين نعمة الله

وحكمته، فهو دائمًا بالنعمة يمنح، ولكن أحيانًا بالحكمة يمنع؛ ونظرًا لغيرته الشديدة، وتصميمه على الاحتفاظ بنا لحسابه، عندما تميل قلوبنا للابتعاد عنه، تظل واحدة من وسائل رد نفوسنا إليه، هي بناء الحوائط وسياج الشوك لكي لا نصل إلى أهدافِنا غير الشرعية، فنتبع ولا ندرك، نفتش ولا نجد. فتكون النتيجة أننا نعود فنقول: «أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ إِلَى رَجُلِي الأَوَّلِ، لأَنَّهُ حِينَئِذٍ كَانَ خَيْرٌ لِي مِنَ الآنَ» (هو ٢: ٧).

فما أن نُبدي بادرة حقيقية للتوبة والرجوع إليه، وأول ما تلمح عيناه"فِج التين وقُعال الكروم" إلَّا وسريعًا يُحْيي في القلب ألحانَ الحنين: «قُومِي يَا حَبِيبَتِي، يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالَيْ» (نش ٢: ١٣). فيقول السيد: «هأَنَذَا أَتَمَلَّقُهَا وَأَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَأُلاطِفُهَا» (هو ٢: ١٤). لكنْ إن أراد العريس أن يتملَّق عروسَهُ أو يُغريها، وإن أراد مُلاطفتها، فهل البرية هي الجو المُناسب لذلك، أم البساتين اليانعة حيثُ مناظر الطبيعة الخلاَّبة، التي تجعل خرير الوِد ينساب بين الطرفين؟ فكيف تكون البرية هي الأجواء المُختارة مِن قِبَل العريس؟

أخي، هل تظُن أن الظروف الصعبة ووعورة الدَّرب في البرية هي التي تُبْعدنا عن السيد؟ هل نضع مثل هذه المبررات فنُلقي بالمسؤولية على صروف الزمان وليس علينا؟ هل تعلم لماذا سيصحبها العريس إلى البرية؟ ليس إلَّا ليُذكِّرَها "بمحبتِها الأولى"، وبصفوة مشاعرها نحوَهُ. فلم تكُن البرية إلَّا مكانًا فيه تأجَّجت المحبة وتوطَّدت أواصر الارتباط بالسيد. ألم يُرسل نبيَهُ ليُذكِّرَها: «قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ، مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ، ذِهَابَكِ وَرَائِي فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ» (إر ٢: ٢)؟ فسيذهب السيد بها إلى البرية، ليجعلها تعيش صفوة محبتها له من جديد.

ثمّ يُكْمِل السيد وعده الصادق لها: «وَوَادِي عَخُورَ بَابًا لِلرَّجَاءِ» (هو ٢: ١٥). إن الكلمة العبرية (عخور עָכוֹר)[1] تعني "كدر" وأشهر حادثة ارتبطت بهذا الموضع، هي حادثة خيانة عخان بن كرمي، الذي أخفى شيئًا من مغانم أريحا عند فتحها، عاصيًا أمر الله، فرجَمَهُ الشعب بالحجارة هو وعائلته، وأحرقوهم بالنار، وكان هذا القضاء بحسب أمر الرب (يش ٧). ولكَ أن تتخيَّل، مدى التدهور النفسي، والتوتر العصبي الذي كابدَهُ الشعب في هذا الوادي، الذي امتلأ بكل تأكيد، بصراخ مَنْ انهالت الحجارة على أجسادهم، ساحقة إياهم، بل امتلأ أيضًا الوادي برائحة لا حريق النفاية، بل حريق أجساد

(١) ومنها جاءت الكلمة في العربية "عكور"، أي ما يُعكِّر الحياة ويُكدِّرها.

البشر، بالإضافة إلى الشعور بشرِّ الهزيمة أمام عاي. لقد دُعيَ بحق وادي عخور أي وادي الكَدَر. ولكن، أيستلفتُ نظرَنا وعدُ السيد وليس وعيده؟ «وَادِي عَخُورَ بَابًا لِلرَّجَاءِ»؟ إن في ذات المواضع التي فشلت نفوسنا فيها فشلًا ذريعًا، بل التي فيها تجرَّعنا مرارة العلقم بسبب فشلنا المتكرر، تفتح لنا النعمة "بابًا للرجاء" على مِصراعيه. فهذه الأحداث المأساوية هي استثناء للقاعدة، هي نغمات نشاز وسط عزف متقن منسجم بديع.

إنّ الكواكب تدور في فَلَك شموسها، والإلكترونات تدور في فَلَك نواتها، ولقد خلق الله الإنسان لمجده: «لِمَجْدِي خَلَقْتُهُ وَجَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ» (إش ٤٣: ٧)، لكي يرتبط به ويدور في فَلَكه. فإن كان خروج كوكب عن مساره يسبب كارثة كونية، وخروج إلكترون عن مساره ينتج انفجارًا ذريًّا، فخروج الإنسان عن فَلَك إلهه، هي مأساة البشرية.

أخي الحبيب، لنقطع كل الرُّبط التي تربطنا بذاك الماضي الأسود! لننسَ كور المشقَّة وبيت العبودية! إن كنَّا قد دخلنا إلى الفُلْك، فلا نلتفت إلى العالم الهالك، كما يفعل الغربان (تك ٨). وإذا كنَّا قاصدين كنعان، فلا نشتهِ قدور اللحم التي في مصر (خر ١٦). وإذا كنَّا في حرب مع مديان، فلا ننسَ المُهمَّة العُظمَى التي أمامنا ونحن نشرب الماء (قض ٧). وإذا كنَّا قد وضعنا يدنا على المحراث، فلا ننظر إلى الوراء (لو ٩). لا نحاوِلنَّ أنْ نُحسِّن حالتنا كي نصل إلى الله، فحتمًا سنفشل وسيظهر عُرينا وخزينا، وهذا ما يعنيه الكتاب في (خر ٢٠: ٢٦): «وَلَا تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلَا تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ». فطبيعتنا في حد ذاتها غير قابلة للتحسّن، كما يقول الحكيم: «إِنْ دَقَقْتَ الأَحْمَقَ فِي هَاوُنٍ بَيْنَ السَّمِيذِ بِمِدَقٍّ، لَا تَبْرَحُ عَنْهُ حَمَاقَتُهُ» (أم ٢٧: ٢٢)، فالطبيعة الساقطة فينا ليس لها علاج على الإطلاق، لا يمكن إصلاحها أبدًا مهما تهذَّب الانسان وتديَّن وتنسَّك فحماقته لا تبرح عنه. فحتمًا لا بدَّ له من ولادة من فوق: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَ ذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كو ٥: ١٧).

في العهد القديم، لم تكن النار تُخمَد أبدًا على مذبح النحاس، ففي كل صباح كان الكاهن يُغذِّيها بحطب جديد يضعه فيها (انظر: لا ٦: ١٢). بالمثل التأمل في محبة الرب العجيبة هو ذلك الحطب الذي يوضع على مذبح القلب كل يوم، فتظل نار الروح القدس تُشعِل القلب بمحبة الرب «الْمَحَبَّةَ ... الْغَيْرَةُ ... لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ» (نش ٨: ٦).

يقول الرسول: «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا συνέχει» (٢كو ٥: ١٤) كلمة تحصرنا

معناها الضغط من كل جهة[٢]. فبولس يُقرّ بأنه لم يكن بمقدوره أن يترك الكرازة كي يتجنَّب مخاطرها الشديدة، فهو مُقيَّد بمحبة المسيح التي ضغطت عليه من كل جهة فلم يقدر سوى أن يحيا خادمًا له. أبفرودتس اشتعل قلبه بمحبة الرب فقيل عنه: «لأَنَّه مِنْ أَجْلِ عَمَلِ الْمَسِيحِ قَارَبَ الْمَوْتَ، مُخَاطِرًا بِنَفْسِهِ» (في ٢: ٣٠). وكذلك مؤمنو كنائس مكدونية تعرَّضوا للاضطهاد بسبب إيمانهم وحدثت لهم أزمات اقتصادية، لكن لم يتوقف عطاؤهم المادي للرب (انظر: ٢كو ٨: ٢-٤)، فلا شيء يطفيء نيران الحب سوى الخطيئة (انظر: مت ٢٤: ١٢).

أخي، أيًّا كان دورك في خدمة الرب: قائدًا كبولس، مساعدًا كأبفرودتس، أو كانت خدمتك تقتصر على الشهادة بسلوكك وكلماتك وعطائك المادي كبعض مؤمني مكدونية، فالحقيقة واحدة لا تتغيَّر. فالتأمل في محبة الرب وما فعله من أجلنا: إنه أحرق خطايانا في جسده، أنقذنا من الهلاك الأبدي، أعطانا حياة أبدية، وصارت لنا مكانة عظيمة في شخصه، فهذا التأمُّل هو الحطب المبارك الذي تُشعله نار الروح القدس داخل القلب؛ حطب تزيده الخدمة اشتعالًا وتطفئه الخطيئة.

قال الرب يسوع عن المرأة الخاطئة: «أَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ διαλείπω عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ» (لو ٧: ٤٥). عبارة "لا تكف" شائعة الاستعمال في الوسط الطبي في ذلك الوقت، تشير إلى شخص لا يقدر أن يتوقف عن العلاج لأنَّه لا يزال مريضًا[٣]. لقد صارت المرأة كالمريضة التي لا تقدر أن تكف عن العلاج وما هو علاجها؟ أن تستمر في تقبيل قدمي الرب.

قال الرب: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لو ١٤: ٢٦). هل يطلب المسيح أن "نُبغِض" أقاربنا؟ كلَّا، إنه يطلب أن تكون محبتنا له هكذا عظيمة، لدرجة أنه تصبح كل محبة أخرى بُغضًا بالمقارنة مع المحبة له. بالرجوع إلى (مت ١٠: ٣٧-٣٨) نجد شروط التلمذة بلغة أوضح «مَن أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي». إن شروط تبعية المسيح متضمِّنة في هاتين الكلمتين "الله أولًا".

---

(2) A. T. Robertson, *Word Pictures in the N. T.,* Baker, Michigan, 1930, Vol. IV, p. 230. See Luke 8:45.

(3) Marvin R. Vincent, *Word Studies in the N.T.,* MacDonald Publishing Company, Virginia, Vol. 1, P.329.

**من التراث الكنسي**

# الإفخارستيا أساسية لتكوين الكنيسة كجسد للمسيح

❖✚❖

الأب نيقولاس آفاناسييف **Fr. Nicolas Afanasiev** العالِم الشَّهير في التعليم عن الكنيسة على أساس إفخارستي يعتبر الإفخارستيَّا أساسيَّة لتكوين جسد المسيح، فيقول:

"الكنيسة تأسَّست بواسطة المسيح في العشاء الأخير، واستُعلن وجودها في يوم البنديكُسْتي، عندما مارس التَّلاميذ أوَّل إفخارستيًّا ... في يوم حلول الرُّوح القُدُس، كان التَّلاميذ مُمتلئين من الرُّوح القُدُس ... صار التَّلاميذ "جسدًا واحدًا" في الإفخارستيَّا، التي أُقيمت في الرُّوح ومن خلال الرُّوح ... الإفخارستيَّا هي المركز الذي نحوه يتَّجه كل شيءٍ، والذي يلتقي فيه كل شيءٍ ويتَّحد معًا. جسد المسيح يُدرَك ويُحقَّق فقط في الإفخارستيَّا[١]".

وبحسب كلمات الأب باتريك ريردون Fr. Patrick Reardon:

**"الغرض النَّهائي والحاسم لاستدعاء الرُّوح القُدُس، ليس تقديس الخبز والخمر (فقط)، ولكن تقديس البَشَر. المسيح القائم لم يتَّخذ شكل الخبز والخمر المكرَّسين ليختبئا في مائدة، ولكن لأجل أنْ يُؤكَلا ويُشرَبا، ليقيم فينا ونحن فيه** (يو٦: ٥٦)[٢]".

الغرض من استدعاء الرُّوح القدس في القدَّاس الإلهي ليس فقط تقديس الخبز والخمر، ولكن تقديس كلِّ المُشتركين، ليحوِّلنا، ويجعلنا أعضاءً حقيقيِّين لجسد المسيح. فلأنَّ الدَّم الحقيقي ليسوع يجري ويتدفَّق في عروقنا من خلال الإفخارستيَّا، يصير كلُّ عضو في جسدنا عضوًا لجسد المسيح. حقيقة، ليس لجسد المسيح السرِّي أيدٍ أو أقدام، ولكن له أيدينا

---

(1) *The Lord's Supper*، "*Trapeza Gospodnia*" (Paris: YMCA Press،1952), in Russian، trans. Michael J. Lewis (Crestwood،NY: St. Vladimir's Orthodox Theological Seminary، 1988)،1-2.

(2) *Again Magazine*. Vol 24، No 3.

وأقدامنا نحن ليُجرِي عمله في عالَم اليوم.

وهكذا، نحن مدعوُّون لنحيا أعضاءً لجسد حي، رأسه الرَّب يسوع. هذا الجسد يدعوه القدِّيس أغسطينوس: **[المسيح ككل، رأسًا وجسدًا معًا]**.

السِّر الآخَر الذي يجعلنا أعضاء جسد المسيح هو المعموديَّة، التي فيها نُطعَّم في جسد المسيح، لنصير أعضاء جسده. كلُّ مسيحي معمَّد هو صورة للمسيح. نحن نصير مُسَحَاء أُخَر في العالَم. نصير عينيه، ويديه، ولسانه، وقدميه. المسيح اختار أنْ يعمل في العالَم من خلالنا، نحن أعضاء جسده. إنَّها مسؤوليَّتنا الخاصَّة كمعمَّدين مسيحيِّين أنْ نَدَع المسيح حاضرًا أينما كنَّا في العالَم.

سرُّ الإفخارستيَّا يُطلَق عليه أيضًا سرُّ الشَّركة Koinonia، وهو حقًّا هكذا، لأنَّ من خلاله نكون في شركة مع المسيح، وأيضًا في شركة بعضنا ببعض، بل وأيضًا في وحدة، لأنَّنا أعضاء من جسد واحد.

## استيعاب كلمة الله وأكلها

عندما دعا الله أنبياءه اليهود العظام، طلب منهم أنْ يأكلوا دَرْجَ الشَّريعة، أي كُتُبهم المقدَّسة. الفكرة كانت أنَّهم يأكلون كلمة الله، ويحوِّلونها إلى كيانهم الخاص، حتَّى يمكن للنَّاس أنْ يروا كلمة الله في جسد حي بدلًا من رق ميِّت. هكذا هو الأمر من خلال الإفخارستيَّا وكلمة الله المكتوبة: أننا فيهما نأكل ونستوعب الرب يسوع حتَّى يصير جسدًا في أجسادنا، ومن ثمَّ، لن يرى الناس مَنْ هو الله في الكتاب المقدَّس فقط ولكن سيمكنهم أن يروا الله فينا. قال الرَّب يسوع: «**أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ ...** أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (مت ٥: ١٣، ١٤).

بما أننا قد استخدمنا المثال الذي أعطاه بولس الرسول عن الجسد كمثال للشَّركة التي نختبرها كأعضاء للمسيح ولبعضنا البعض، أُقدِّم لكم الكلمات التالية للاهوتي الإنجليزي روبنسون J. Robinson، حيث يلخِّص عمق المعنى الرُّوحي المتأصِّل في كلمات الكتاب المقدَّس عن الجسد، فيقول:

**"إنَّه من جسد الخطيَّة والموت أُنقذنا، ومن خلال جسد المسيح على الصَّليب خلصنا، وفي جسده اندمجنا، وبجسده في الإفخارستيَّا يحدث أنَّ هذه**

**الجماعة (جسد المسيح) تتدعَّم وتلتئم. في جسدنا استُعلِنَت الحياة الجديدة؛ ونحن معيَّنون لقيامة هذا الجسد إلى شبه جسد مجد المسيح".**

## لمس وتذوُّق الحياة الجديدة

ليس فقط الرُّوح هي التي تخلص وتتمجَّد، بل الروح مع الجسد أيضًا. المسيحية دين واقعي يأخذ الجسد بعين الاعتبار. إنَّ ما يحدث لنا في الكنيسة يحدث لنا من خلال أجسادنا. نحن نغتسل من خطايانا جسديًّا من خلال ماء المعموديَّة. نحن نُدفن جسديًّا في مياه المعموديَّة ونقوم مع المسيح إلى حياة جديدة، ولكن مشكلتنا هي أنَّنا لا نعيش دائمًا كمن قد اغتسلوا لمعموديَّة الحياة، حيث إنَّ رحلتنا في الحياة بدءًا من المعموديَّة تتشوَّه بالخطيَّة. نحن نحتاج إلى قوت وإلى قوَّة أثناء الرِّحلة. نحن نحتاج إلى غفران، وهذا ما يجعلنا نأتي بأجسادنا إلى مائدة المسيح. نحن نسمع وعد يسوع: **"هذا هو جسدي الذي يُبذل لأجلكم، وهذا هو دمي المسفوك لأجلكم"**. نحن نأكل الجسد ونشرب الدم. خلال سر التناول تتقدَّس أجسادنا وتتغذَّى بحياة القيامة. نحن نلمس ونذوق الحياة الجديدة. رجاء القيامة يجري في أجسادنا، ونترك المائدة وقد انتَشَينا. أجسادنا قد اغتذت بالقيامة، وارتباطنا بجسد المسيح يتجدَّد ويُعاد ويتوثَّق.

## نحن نصير أعضاء المسيح

يصف الأب سمعان اللاهوتي الجديد ما يحدث لجسدنا عندما نتغذَّى بالمسيح من خلال سرِّ الإفخارستيَّا والكلمة فيقول:

> **"نحن نصير أعضاء المسيح وأطرافه، والمسيح يُصبِح أعضاءنا ... وأنا غير مُستحق، أن تصير يَدَايَ وقدمايَ تصيران للمسيح. أُحرِّك يدي، ويدي بكليَّتها تكون للمسيح لأنَّ المسيح قد اتَّحد بي بدون انفصال. أنا أُحرِّك قدميَّ، ويا للعجب! إنَّها تتوهَّج وكأنها قدم الله تمامًا ... ".**

كأعضاء لجسد المسيح، ونحن متَّحدون به، نصير: «**شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ**» (٢بط ١: ٤). وحيث إنَّ يسوع، رأس جسدنا، يجلس الآن عن يمين عرش الله، فنحن كأعضاء لنفس الجسد سنَجلس هناك معه، لأنَّه في أيِّ كائن حي، لا يمكن أنْ ينفصل الرَّأس عن

الجسد! أَمَا صعد السيِّد المسيح – رأسنا – بجسده إلى يمين الآب حيث ينتظرنا؟ إلى هناك نحن ننتمي، هناك مُشتهانا!

## دروس من الأوِزّ الطَّائر

نجد معنًى جميلًا للشَّركة koinonia في عالَم الحيوان بين الأوِزّ، فهو يعكس لنا ماذا يجب أن يحدث بين أعضاء جسد المسيح.

يحدث أنْ ترى الأوز متَّجها نحو الجنوب بسبب الشِّتاء، طائرًا في شكل حرف **V**، وستندهش عندما تعرف ما اكتشفه العِلْم في طريقة طيرانه بهذا الشَّكل. عندما يُرَفرف الطَّائر بجناحيه، فهو يوجِد قوَّة رافعة للطائر الذي يتبعه مباشرة. بالطَّيران في شكل حرف **V**، فالسِّرب كلّه يضيف على الأقل قوَّة طيران إضافيَّة بمقدار ٧١% عمَّا لو كان كلّ طائر يطير بمفرده؛ وهذا هو نفس الوضع للمسيحيِّين الذين يتشاركون بالسعي في اتِّجاه مُشتَرَك بمعنى الشَّركة koinonia، حيث يُمكن للجماعة أنْ تبْلغ إلى حيثما تريد، أسرع وأسهل مما لو سعى كل واحد على انفراد، لأنَّهم يعتمدون على القوَّة الدَّافعة والرَّافعة لكلّ واحدٍ التي صارت مشتركة للجميع.

إذا ما حدث أنَّ طائرًا يخيب عن هذا التَّشكيل، فهو يشعر بالفشل والتخلُّف نتيجة محاولته أنْ يمضي بمفرده، فلا يلبث أنْ يعود بسرعة للانضمام إلى التَّشكيل، ليَنْتفع من فائدة القوَّة الرَّافعة للطَّائر الذي يسبقه مباشرة. إذا ما كان لنا نحن المسيحيِّين مثل هذا الإحساس الذي للأوز، فسنبقى وسنظل في نفس التَّشكيل مع المتقدِّمين للأمام في نفس الاتِّجاه. عندما تشعُر الأوزة القائدة بالتَّعب، فإنَّها تدور إلى الخلف، وطائر آخَر يحلُّ مكانها. وهكذا معنا نحن أيضًا أثناء عمل الأشياء الصَّعبة في الكنيسة، حيث يمكن الاستفادة من النَّاس الآخَرين مثلما يفعل الأوز عندما يدور. دعنا نتذكَّر أيضًا أنَّ الأوز تُصدر صوتًا باستمرار من الخلف لتشجِّع الذين في المقدِّمة لتحتفظ بسرعتها. إنَّها تشجِّع أولئك الذين في الطَّليعة للعمل الجيِّد الذي يقومون به.

وأخيرًا، عندما تمرض واحدة من الأوز أو تُجرَح من طلقة صيَّاد وتسقط، فإنَّ طائرَين يتراجعان من التَّشْكيل ويتخلَّفان عنه، ويتبعان الطَّائر المُصاب ليساعداه ويحمياه، ويظلَّان معه حتَّى يستطيع الطَّيران أو يرافقاه إلى أنْ يموت، وبعدئذٍ ينطلقان بقوَّة وسُرعة لينضما إلى تشكيل آخَر، ليمكنهما الالتحاق بمجموعتهما الأصليَّة. (البقية صفحة ١١)

# الخميرة الصغيرة

«خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ»

(غل ٥: ٩)

**تمهيد:**

لعلَّ من أكثر التشبيهات اللافتة للنظر، التي استخدمها الربُّ يسوع في أمثاله عن ملكوت السماوات هو تعبير "الخميرة الصغيرة"، وذلك في سياق تشبيهاته لهذا الملكوت من واقع أمورٍ حياتية معروفة وملموسة في الحياة، حتى يسهُل إدراكه وفهمه. فكلُّ فئات الشعب تفهم جيدًا معنى كلمة "الخميرة"، وتعلم كلَّ شيء عن استخدامها في بيوتهم وحياتهم. فتعلم ما هو الفرق بين الخميرة والفطير، ومعنى أن تكون الخميرة جيدة أو فاسدة، كما تدرك جيدًا أهمية هذه الخميرة الصغيرة بالنسبة للعجين كلّه وأثرها عليه. لذلك لم يكن تشبيه ملكوت الله بالخميرة بأمرٍ غريب ولا مسُتصعَب أمام السامعين للربِّ يسوع، لكي يفهموا قصد قوله ومعناه.

**أنواع الخمائر:**

يشير الكتاب المقدَّس إلى نوعين رئيسيين من الخمائر أراد أن يميِّز بينهما بوضوح، وأن يحدِّد لنا عن أيٍّ منهما يتكلَّم ويُنبِّه ويدعو، وعن أيٍّ منهما يُحذِّر ويشجُب. ويوضِّح لنا القديس بولس الرسول هذا الأمر بقوله: «إِذًا لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ **بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلَا بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ،** بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلَاصِ وَالْحَقِّ» (١كو ٥: ٨)، وأيضًا يقول القديس بولس: «إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ» (١كو ٥: ٧). هذا فضلًا عمَّا ذكره الربُّ يسوع نفسه، عندما حذَّرنا من خمير الفريسيين بقوله: «انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ ... حِينَئِذٍ فَهِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْخُبْزِ، بَلْ مِنْ تَعْلِيمِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ» (مت ١٦: ٦، ١٣)، وأيضًا قوله: «أَوَّلًا تَحَرَّزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ الَّذِي هُوَ الرِّيَاءُ» (لو ١٢: ١).

فالحديث هنا يشير إلى وجود نوعين من الخميرة؛ أولهما هو: **الخميرة الجيدة،**

والمُشار إليها في مَثَل الملكوت (مت ١٣: ٣٣)، والنوع الثاني هو: **الخميرة العتيقة** التي تشير إلى: (ضمير) الخُبثِ والشرِّ والرياء، المماثلة لرياء ونفاق الفرّيسيين وضمائرهم الغاشة. ودائمًا ما يدعونا الكتاب المقدَّس إلى النأي عن التَمثُّل بالخميرة العتيقة، التي هي الرياء والنفاق وضمير الخُبث والشرِّ، والتشبُّه بالخميرة الجيدة التي تُخمِّر العجين كله بالإخلاص والطهارة والحقِّ والنقاء.

**المعاني الروحية لمَثَل الخميرة الصغيرة:**

**أولًا: الخميرة الصغيرة مثال لملكوت السموات:**

١- **من حيث قوة انتشار عمل للروح القدس:** يقول الربُّ يسوع : «يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبَّأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر العجين» **(مت ١٣: ٣٣؛ لو ١٣: ٢١).** فالمرأة خبَّأت الخميرة الصغيرة داخل أكيال الدقيق وغطَّتها، تاركة لحركة الخميرة وحيوِّيتها وروح الحياة التي فيها لتعمل في كلِّ الدقيق حتى يختمر الجميع، فالإشارة هنا واضحة لعمل الروح القدس الجبَّار والخفي، والقادر على التأثير والانتشار والعمل في الخفاء، ولو بأركان تبدو لنا ضعيفة، حتى يُخرِج الحقَّ إلى النور، وينتشر نور الكرازة والشهادة للعالم أجمع. وليس أدلُ على ذلك من كرازة الرسل الأطهار- الصيَّادين البسطاء والضعفاء- الذين قيل عنهم إنَّهم فتنوا المسكونة، وذلك من قِبَل الروح القدس الوديع الساكن فيهم، فهؤلاء يقول عنهم الكتاب المقدس: «في كلِّ الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» **(مز١٩:٤)**.

هكذا هو عمل الروح قويٌّ وجبارٌ، رغم كونه مخفيًّا ومستورًا بلا ضجة أو إبهار، مثل الخميرة الصغيرة التي تعمل في صمت عملها العظيم وتُتمِّمه بهدوءٍ ومجدٍ عظيمين. ولا ننسى أيضًا، التشابه المُلفِت لنا من حيث قوة الانتشار والاتساع والفاعلية الملازمة لعمل الروح القدس الخفي في الداخل؛ ومقارنة ما ذُكر عن الثلاثة أكيال الدقيق - الواردة في مَثَلِ الخميرة الصغيرة الذي قاله الربُّ يسوع - مع مثيلتها التي خبزتها أمُّنا سارة، امرأة أبينا إبراهيم لضيوفه الملائكة، فأخذت الوعد بأن يولد منها أكثر من نجوم السماء، حيث كانت كثرة نسل إبراهيم إشارة لاكتمال وانتشار الكرازة في العالم كلّه، بتلك الخميرة الجيِّدة الحاملة لقوَّة الملكوت والقيامة.

٢ - **من حيث قوة روح الله وفاعليته داخلنا:** يقول الربُّ يسوع لكلِّ من يبحث عن ملكوت الله: «هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١)، فالملكوت إذن يتمثَّل في وجود الله نفسه داخلنا، من قِبَل روحه القدوس، كمثال الخميرة الكامنة فينا لتهبنا كل طاقة الحياة الأبدية التي إليها دُعينا. فرغم بساطة وضعف الخميرة الصغيرة، وقلة حجمها وصعوبة تصوُّرِ تأثيرها على أكيال الدقيق التي تُغطِّيها، نجدها قد خمَّرت العجين كله. هكذا ورغم ضعف الآباء الرسل وبساطة ثقافاتهم وقُدراتهم، إلَّا إنَّ الروح القدس الكائن والمخبَّأ داخلهم قد انطلق فيهم كانفجار النور في غياهب الظلمة ليُحطِّمها، ويضيء على العالم بنور معرفة المسيح، شاهدًا لعمل نعمته الفائض والمتزايد والخفي في حياتهم، بمعزل عن كلِّ ضعفاتهم؛كما يقول معلّمنا بولس الرسول: «فقال لي: تكفيك نعمتي، لأنَّ قوَّتي في الضَعف تُكمَل» (٢كو ١٢: ٩). فهذا كلُّه شهادة على مدى قوة وفاعلية عمل الروح القدس - خميرة الملكوت المخبَّأة داخلنا - التي تَضطَلِع بكل العمل من جهة النموِّ والشهادة والكرازة، من أجل انتشار ملكوت الله الكائن في داخلنا، إلى أقاصي المسكونة لمجد الله: «أمّا المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهم يعلّمكم كلَّ شيء، ويُذكّركم بكلِّ ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦).

**ثانيًا: الخميرة الصغيرة مثال لذبيحة المسيح وموته وقيامته:**

إنَّ المسيح هو حبة الحنطة التي ماتت لأجلنا، ودُفنت وجازت الموت، ثمَّ قامت وأشرقت على العالم كلّه بقوة روح الحياة (الروح القدس)، لتُعطي له عربون الحياة الأبدية. كذلك الخميرة، التي هي طحين الحنطة المخبوز، والذي يرمز للباكورة المقدسة التي هي مثال المسيح نفسه! فإن كانت الباكورة مقدَّسة، فالعجين كلُّه - أي كلُّ شعب الله - سيصير مقدَّسًا؛ كما يقول معلّمنا بولس الرسول: «وإن كانت الباكورة مقدَّسة، فكذلك العجين!» (رو١١:١٦)، لأنَّنا ، كباكورة الروح، قد تمثَّلنا بالمسيح واتحدْنا به؛ بالتناول من جسده ودمه المقدَّسين، أي من الخبز الواحد المقدَّس؛ المطحون والمخبوز بنارٍ، والمدفون والقائم من أجلنا. وبهذا صرنا باكورة مقدَّسة للشهادة والتأثير والكرازة باسمه في جميع الأمم. كما صرنا أهلًا - بسبب اتحادنا به في شركة آلامه - أن نشترك معه أيضًا في مجده كذلك.

# التألّه والوحدة[١]

رسالة ماجستير

عن مفهوم عقيدة التألّه ووحدة الكنيسة في اللاهوت الاختباري عند آباء الكنيسة

وكما سبق وشرحه الأب متى المسكين في كتاباته

**مراجعة/ المتنيّح الأنبا إبيفانيوس**
**إعداد/ الدكتورة ليديا عادل حنا**

الكتاب هو رسالة ماجستير قدَّمتها الباحثة لنيل درجة الماجستير من جامعة صوفيا بإيطاليا في يوليو ٢٠١٧. وقد نالت الرسالة التقدير بالدرجة العظمى (١٠٠٪) (ص ٢٧١).

وقد بَدَأت فكرة البحث بسؤال طرحته الباحثة على نفسها بخصوص أن العالم الكنسي اليوم يرجو ويسعى نحو الوحدة، ولكن لماذا لم نصل عمليًّا إلى تحقيقها؟ ما هي العوائق التي تقف أمامها؟

وقد رأت الكاتبة أنَّ الانطلاق نحو الوحدة الحقيقية لابد أن ينبع من فهم المؤمنين لعقيدة الثالوث. فإيماننا المسيحي هو أن الله واحدٌ وثالوث. إلهٌ واحدٌ مثلث الأقانيم، كل أقنوم يتمايز عن الأقنومَيْن الآخرين، ولكنه متحدٌ معهما. والثلاثة أقانيم في تمايزهم متحدون بحسب الطبيعة، ويكونون في علاقة محبة متبادلة "بيريخوريسيس"، علاقة دائمة لا تتوقف ولا تنتهي، قائمة دومًا بين الآب والابن والروح القدس. وعندما نتحدث عن المحبة فنحن نقصد محبة الأغابي، المحبة التي خلقت الإنسان ودَعَته للدخول في علاقة مع الله نفسه. فالله، في محبته، قَبِلَ أن يتحد بالمخلوق في علاقة بنوَّة في الابن يسوع المسيح، الكلمة المتجسِّد.

والبحث يؤكِّد أننا لن نستطيع الوصول إلى وحدة الكنيسة، إلا من خلال اتحادنا بالله. فالاتحاد بالله هو سبيل الإنسان الوحيد نحو الوحدة. وبدون الاتحاد بالله، لا يمكن للإنسان أن يدخل في أيِّ علاقة اتحاد بغيره. لذلك نجد أن الله تحدث معنا بلغةٍ مناسبة لقدراتنا الإدراكية، لذا علينا أن نختار لغةً مشتركة وواضحة للجميع.

إن الهدف من الرسالة هو إيجاد لغة مشتركة بين الكنائس لتحقيق المسيرة نحو الوحدة.

---

(١) يقع الكتاب في ٢٩٤ صفحة، وصدر في طبعته الأولى سنة ٢٠١٩ من مطبعة دير القديس الأنبا مقار- وادي النطرون.

وبدلًا من الارتكاز على نقط الخلاف بين الكنائس، اختارت الكاتبة الارتكاز على نقاط الاتفاق والتلاقي بينهم.

وقد استند البحث إلى مراجع عديدة ومتنوعة: الكتاب المقدس بعهديه، أقوال الآباء، تقليد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وليتورجياتها، ومن ثُمَّ تناول موضوع الكتاب الرئيسي: التألُّه والوحدة في فكر وكتابات وحياة الأب متى المسكين كنموذج من العصر الحديث.

وقد تناولت الباحثة الموضوع في ثلاثة فصول كالاتي:

**الفصل الأول:** وفيه تتعمق في المفاهيم الإيمانية وتأصيلها بحسب فكر وتقليد آباء الكنيسة الشرقية والغربية على حدٍّ سواء، من خلال كتابات: القديس أمبروسيوس من الآباء اللاتين؛ القديس كيرلس الكبير عمود الدين، من الآباء السكندريين؛ القديس إسحق السرياني، من الأدب الرهباني. كما استخدمت الباحثة مراجع أخرى مثل: يوستين الشهيد، القديس أثناسيوس الرسولي، القديس باسيليوس الكبير، وغيرهم....

**الفصل الثاني:** عرض لسيرة وحياة الأب متى المسكين بما يخدم البحث. واللاهوت الذي يتمَّيز به هذا الأب هو لاهوت اختباري، بمعنى أنه يَعبرُ من المجال العقائدي لينتقل إلى البُعد الاختباري. فاللاهوتي الحقيقي هو الذي يتأمل في الله، يسمعه ويُعلنه للآخرين. وقد فرَّق الأب متى بوضوح بين أُلوهية الله بالطبيعة، وتألُّه المؤمنين بسبب شركتهم واتحادهم في الابن بالنعمة، الشيء الذي تحقَّق بتجسَّد الابن.

**الفصل الثالث:** وهو قلب الرسالة، يتناول عقيدة "التألُّه والوحدة"، أي عقيدة الاتحاد بالله ووحدة الكنيسة، استنادًا إلى التعاليم اللاهوتية الاختبارية للأب متى المسكين (حياته وكتاباته وعظاته)، على خُطى آباء الكنيسة، وامتدادًا للتقليد الكنسي المُسلَّم لنا مِنَ القديسين.

**التألُّه والوحدة هما وجهان لعملةٍ واحدة:** ربما يظنُّ القارئ أنهما موضوعان مستقلّان، وإنما، في الحقيقة، هما مترابطان معًا ترابُطًا شديدًا بواسطة عمل الروح القدس، الذي حقَّق ذلك في فخر جنسنا العذراء القديسة مريم، التي اختارها الله، لكي بواسطتها وفي رحمِها يتَّحد اللاهوت بالناسوت. فكما تمَّ عمل الروح القدس في العذراء مريم ليولد منها المسيح؛ هكذا يكون ويستمر عمله، في كل زمانٍ، يعمل في البشرية الخاضعة لصوت مشيئته، لتقدم المسيح للعالم في كنيسته التي هي جسد المسيح الواحد.

# Our Need for Christ[1]

*In a time of tribulation and a world of war and distress, man seeks his redeemer and longs for deliverance from his troubled life. Fr Matta speaks here about an important issue in our life, he experienced it deeply. Enjoy!* NB: *All quotations are taken from the NKJV, if not otherwise mentioned.*

DURING MY EARLY CHRISTIAN LIFE, the greatest experience that strongly drew my attention was whenever I felt that I lacked in my relationships with the people, the Church, or the monks, I became distressed and agonized to the extent that my energy, ministry, and influence upon others was consequently weakened. However, the moment I approached the person of my Lord Jesus and felt Him as though He was returning after a long absence of which I was always the cause, my heart would leap with joy, and my mind would regather so that all sense of want falls away from me, allowing Christ to rise over the horizon of my whole life. Then I see Him more than all my needs and feel His fullness overflowing and sweeping my life in the tide of His love that transcends the mind.

In the same manner, I had this sense whenever I was greatly troubled with numerous uproaring thoughts about the ways of God or His dealings with people or His care for the one as for the many. Then my spirit was sorely distressed within me. For I was always eager to see God as supreme at all levels – of mercy or justice and chastening, of tender fatherhood or sovereignty and grace – and thus I remained torn asunder with conflicting feelings that gave me no rest nor peace. But once I felt Him approaching me, my soul calms down immediately, all my questions and worries vanish from me, and Christ appears transcending all my intellectual scales concerning mercy or justice and fatherhood or sovereignty.

[1] A spiritual speech delivered in St Macarius' Church, in his Monastery in *Scetis* on March 3, 1975. Revised translation in 2022.

At such moments, Christ reveals to me the mystery of His will.

Through these two experiences, I have been assured that Christ, whom we lack, is the sole need of our life. The more distant we are from Him, the greater our reliance on so many things of this world, and the more our worrying develops regarding particulars or generals in our life. Why is it that the person of Christ appears in this way as though He is the fullness of everything?

There is one answer that suffices many questions.

We must realize that humanity comprises within itself two contradictory worlds: the physical and the spiritual. The sum of these two together is one of the most astonishing traits in human nature, but it had an exorbitant price. All the ideals that come from this realm of the spirit that permeates into the human being are matched by a material reality decaying in human life, which may reach low and ignoble examples.

A man may kill his brother for a morsel of bread or sell his heavenly heritage for a meal (cf. Gen 25:29). The history of civilization, philosophy, and science proves that there is no hope of establishing a natural reconciliation in the tension and disruption inherent in our being between the ideals of the spirit and the realities of the flesh—whether through the interference of wisdom, the refinement of skills or the mere following of the commandments of God, or even chastisement. As soon as human instincts rage, one rebels against all spiritual values, and a temporary spiritual blindness overpowers and drives them to commit the grossest transgressions, even against themselves.

Here Christ appears in His full humanity and full divinity as the greatest miracle that has ever happened, reconciling both human realities—apparent in their instincts and passions, in their dealings with others, time, their own needs, infirmities, and failures—with spiritual ideals, or instead with God Himself. The reconciliation is complete, perpetual, and eternal, and is profoundly rooted in the depth of oneself, for all that belongs to Christ has come to belong to us.

In this case, Christ has become at once humanity's miracle and God's miracle. Our miracle because we have reached the depth of God's nature, and God's miracle because He has penetrated the depths of our nature. In order to enter the light of this miracle, we must realize that this reconciliation does not rest on a theory, however elaborate, nor on the mere fulfillment of commandments. The

reconciliation fulfilled by Christ is a personal reconciliation achieved in Christ Himself, not through our power but through His power, and the result surpasses the human mind. It suffices to realize that the moment reconciliation was fulfilled through the Incarnation and Crucifixion of Christ, it comprised all humanity in the person of Jesus, Who represents it before God the Father.

Man is reconciled to himself, for God was reconciled in the body of our humanity that belongs to Christ, which He took from us. Hence, we say confidently and succinctly that we are reconciled with God in Christ. This highly personal reconciliation is a unique mediation undertaken by this sole Mediator, Christ, between God and humanity, giving rise to a new force that penetrated not only the earth but also heaven.

The lesser and feeble image of our Christianity is our vain attempt to apply the commandments of Christ to our daily problems without Christ Himself. The sturdy and more excellent image are obtained when "the person of Christ" enters our life. Then all our problems fall at once, and we rise to the level of Christ's commandments without the least of personal mastery.

Attempting to accomplish Christ's commandments without Him, which is impossible, leads the Christians to experience bitterness since, on their own accord, they are incapable of fulfilling the commandments of God that they love. Christ laid down the commandment so that we may prove by it His presence. "Test yourselves. Do you not know yourselves, that Jesus Christ is in you?—unless indeed you are disqualified" (2 Cor 13:5).

Hence the Lord says: "He who has My commandments and keeps them, it is he who loves Me" (John 14:21). In this sense, the one who loves Me is the one who can follow my commandments. In other words, first comes the person of Christ, and secondly, follows all that is Christ's.

Christians are always required to declare their faith before Christians and non-Christians alike. This persistent demand puts us in perpetual tension, for we are bound to rise to the level of the Truth that they may see and reveal It, and to the level of faith that they may act following the Truth before they declare It, or else they would disgrace themselves and Christ alike.

+++

## The Life Giving Flesh

Since the flesh of the Savior has become life-giving (in that it has been united to that which is by nature life, namely, the Word from God), when we taste of it, then we have life in ourselves, since we too are united to that flesh just as it is united to the Word who indwells it. That is why, when he raises the dead, the Savior is found to act not by a word alone or by God-befitting commands, but he rushes to employ his holy flesh in particular as a kind of coworker as well, thus showing that it has the power to give life (…). So when he raised the synagogue leader's daughter by saying, "Child, arise," he took her by the hand, as it is written (…) And if through the mere touch of his holy flesh he gives life to that which has decayed, how will we not gain the life-giving blessing more richly when we also taste the blessing.

*On John* 6:53; transl. D. R. Maxwell,
in Ancient Christian Texts, Vol I, p 530-531.

**********

*ἐκ τοῦ Ἁγίου Κυρίλλου*

Ἐπείπερ ζωοποιὸς γέγονε τοῦ Σωτῆρος ἡ σὰρξ, ἅτε δὴ τῇ κατὰ φὐσιν ἡνωμένη ζωῇ, τῷ ἐκ Θεοῦ δηλονότι Λόγῳ, ὅταν αὐτῆς ἀπογευσώμεθα, τότε τὴν ζωὴν ἔχομεν ἐν ἑαυτοῖς συνενοὐμενοι καὶ ἡμεῖς αὐτῇ, καθάπερ οὖν αὐτὴ τῷ ἐνοικήσαντι Λόγῳ. διὰ γάρ τοι τοῦτο καὶ ἐν τῷ τοὺς νεκροὺς διανιστᾶν, οὐ λόγῳ μόνον, οὐδὲ τοῖς θεοπρεπέσιν ἐπιτάγμασιν ὁ Σωτὴρ ἐνεργῶν εὑρίσκεται, ἀλλὰ συνεργάτην ὥσπερ τινὰ πρὸς τοῦτο δὴ μάλιστα τὴν ἁγίαν αὐτοῦ λαμβάνειν ἠπείγετο σάρκα, ἵνα δεικνὺη ζωοποιεῖν δυναμένην (...). καὶ γοῦν ὅτε τὸ τοῦ ἀρχισυναγώγου κόριον διανίστη λέγων "Ἡ παῖς ἔγειραι," ἐκράτησε τῆς χειρὸς αὐτῆς, καθὰ γέγραπται·(…). καὶ εἰ διὰ μόνης ἁφῆς τῆς ἁγίας σαρκὸς ζωοποιεῖται τὸ διεφθαρμένον, πῶς οὐχὶ πλουσιωτέραν ἀποκερδανοῦμεν τὴν ζωοποιὸν εὐλογίαν, ὅταν αὐτῆς καὶ ἀπογευσώμεθα;

PG 73, 577; Pusey 1.530-531.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
**Subscriptions** to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
**"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.**
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2022 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
**VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG**